روايات أحلام

زهرة الرماد

آن آرثر

WWW.REWITY.COM

مرموزية

روايات أحلام

زهرة الرماد ـ آن آرتر

«هل هكذا يأتي الحب؟ . كانت تتوقع دائماً أن تشعر به ينمو رغم إرادتها، ولكن لم يحذّرها أحد أنه يمكن أن يزهر في داخلها بهذه السرعة».

ولكن مهما كلّف الأمر يجب أن لا يعرف مارك ايڤانز حقيقة مشاعرها نحوه، فكل ما يريده هو الاستيلاء على شركة جدها وإبعاد شقيقها عن إدارتها، وهو سيقبل بها زوجة له كجزء من الصفقة.

وهل تملك أي خيار سوى القبول، عندما تكون حياة جدها وراحة باله معلقتان بموافقتها؟

وتعود تسأل نفسها إلى متى يستمر حبها هكذا: قبضة كالجحيم تطبق على القلب، ولا دموع في العينين؟

تصدر عن دار الفراشة

١ ـ غريب في غرفة النوم

ـ إنها حفلة رائعة يا عزيزتي!.

تساءلت لوسي عمن يكون هذا الرجل الذي يبتسم كالبوم ويلقي كلماته بغير وضوح، وتعجّبت من قد يكون، ربما صديق لجولي، فهي بالتأكيد لا تعرفه.

وابتسمت له ابتسامة لا مبالية وقالت:

ـ شكراً لك.

وحاولت ان تتجاوزه لتسير في طريقها الى المطبخ، وهي تقول لنفسها: «إنها ليست حفلة رائعة... بل هي حقيرة، ولقد مللت منها، وأتمنى أن يذهب الجميع!» وأدهشها تفكيرها... فهي فتاة تعرف كيف تتمتع بحياتها، ولا تحتاج إلى أكثر من بضع ساعات للنوم، ومع ذلك تبقى على نشاطها.

وأمسك الرجل بذراعها، وعلى وجهه الكآبة:

ـ أين أنت ذاهبة؟.

وحاولت أن تتخلص منه، ولكنه تمسك بها. فأبقت صوتها بارداً وهي تجيب:

ـ سأحضر بعض الثلج.

كانت قد التقت مرة في إحدى الحفلات بشخص سمج مثله،

واضطرت لتتخلص منه أن تصفعه، لتكتشف من جيرمان أنه زبون مهم، وبأنها قد أفقدت شركة هارولد بانهارد عقداً كانوا بأمسّ الحاجة إليه. ومنذ ذلك الوقت تعلمت أن تتعامل مع هذه الأمور بمرونة، وكما قال لها جيرمان، فهذا جزء من عملها.

وتابع الرجل:

ـ لا تتركيني... فقد كنت أحاول الانفراد بك طوال السهرة.

وشكت بهذا القول. فالحقيقة على الأرجح، أنه لاحظ تسللها من الغرفة وتبعها مجرباً حظه، وها هو الآن يسدّ لها طريقها إلى المطبخ ويضايقها. وتنهدت بصمت، وفي نفس اللحظة رن جرس الباب، وهذا ما أنقذها. وفتحت الباب وهي تبتسم، ولكن الرجل الواقف على عتبته لم يرد على ابتسامتها. بل في الواقع كان التعبير على وجهه تعبير احتقار، وهذا كان أمراً غريباً نظراً إلى أنه غريب تماماً.

وتساءلت لوسي عما إذا كان جاراً جديداً جاء ليحتج على الإزعاج بسبب الحفلة، أو أنه ممن يقتحمون الحفلات آملين بالتسلية.

ـ آنسة بانهارد؟.

واستمرت بالابتسام وهي تردّ عليه.

ـ نعم؟

ـ ربما نستطيع أن نتحدث على انفراد، والأفضل بعيداً عن هذه الضوضاء.

ـ ومن أنت؟ من الشرطة، أم مساعد مأمور، أم من مصلحة الضرائب؟ فكائناً من تكون أعتقد أنك أخطأت العنوان.

وهز رأسه، وعيناه الرماديتان الغامقتان تطوفان عليها، تتفحصان كل تفاصيل ثوبها الأسود الفاخر.

ـ لا أظن أنني مخطىء.

وصدرت أصوات ضحكات من غرفة الجلوس، وأبعد نظره إلى الباب نصف المغلق، وهو يلوي فمه، وأضاف:

ـ وكيف سيظهر هذا في حسابات هارولد بانهارد في النهاية؟ الترفيه عن الزبائن؟.

ـ يا إلهي! يبدو أنك فعلاً من مصلحة الضرائب! دع عنك المزاح، هل تمانع أن تقول لي من أنت وماذا تريد؟.

ـ على انفراد... نعم... ربما هنا...

وتجاوزها ليفتح أحد الأبواب. فقالت لوسي ساخطة:

ـ وربما لا. فهذه غرفة نومي.

ـ وفّري عليّ الاحتجاج والتظاهر بالخجل آنسة بانهارد، فهي لا تناسب ثيابك. أؤكد لك أنني لست في حالة تسمح لي بقبولها، وحتى لو كنت، فأنت تبالغين في تقدير سحرك.

وانحبست أنفاسها في حنجرتها، فقالت ببطء:

ـ أنا... أظن أنك تهينني. هل تخرج حالاً، أم أستدعي من يرميك إلى الخارج!.

ـ يجب عليك إذاً أن ترميني إلى الخارج. وقبل أن تفعلي عليّ أن أقول لك ان جدك مريض ونُقل إلى المستشفى بعد ظهر هذا اليوم، وهو يسأل عنك. ومن غير المتوقع أن يعيش.

ـ بعد الظهر؟ ولكن لماذا لم يتصل بي أحد... لماذا لم أُبلغ قبل هذا الوقت؟.

ـ كان ممكناً أن تُبلّغي لو أنك لم تكوني مشغولة بضيوفك، أو لو أنك تركتي سماعة الهاتف مكانها. لقد كنت أحاول الاتصال بك منذ ساعات عدة، وفي النهاية قررت أنه من الاسهل أن أجيء شخصياً لأقابلك.

ـ كي تبلّغني النبأ بكل هدوء.

WWW.RIWAYA.COM

ـ أنت قوية آنسة بانهارد. . . يمكنك تحمل النبأ.

ـ ومن أنت؟.

ـ أنا مارك ايڤانز. . . ربما سمعتي أو لم تسمعي عني.

كانت قد سمعت عنه. ولكنها لم تلتقي به من قبل، والصدمة حبست أنفاسها، فقد أكد لها جيرمان أنه لم يعد يُشكل أي خطر، ولكن هنا، في داخل غرفة نومها، بدا لها خطراً أكثر مما يحتمل، وقال لها بعد توقف قصير:

ـ يبدو أن الكلمات قد خانتك. ما رأيك لو تقولين «لقد ظننتك في اميركا؟».

وانفرجت شفتاها لتنكر أي علم لها بأخباره، أو أي اهتمام به وبتحركاته، ثم أقفلتهما دون أن تتكلم. وبدا عليه السرور لأول مرة:

ـ هذا أمر حكيم منك. فلم أكن لأصدقك. وأنا واثق أن شقيقك كان يبلّغك يومياً بآخر ما يستجد في الوضع.

ولكن الأمر لم يكن هكذا، فأول مرة ذكر لها جيرمان اسم مارك ايڤانز، كان من سنة، وفي ذلك الوقت، كان ليس أكثر من سحابة صغيرة الحجم في أفق هارولد بانهارد، ولكن في الأشهر التي تلت، بدأت تكبر، وتنذر بالسوء.

وكان جيرمان قد قال لها:

ـ إنه يريد الاستيلاء على الشركة، فشركته «ايڤانز العالمية» تملك شركة اليكترونيات صغيرة خاصة بها، ويريد أن يوسعها، ونحن نمتلك الخبرة التي تلزمه، ولكنه لا يريد أن يدفع الثمن. إنه يعلم تماماً بأن الضائقة المالية عصفت بنا، ويعتمد على الانتظار ليمسك بنا بأبخس ثمن. هذا إذا لم يدعوه جدي للانضمام إلى مجلس الإدارة في مطلق الاحوال.

ـ وهل تظن هذا محتملاً؟.

ـ أتمنى لو أنني لا أعتقد هذا. ولكن عندما عدت من روما، في الأسبوع الماضي، قال لي إيربي غولمان إنهما متقاربان جداً، وبدا عليه السرور.

ايربي غولمان لن يعارض أبداً لو أن «هارولد بانهارد» أصبحت جزءاً من امبراطورية ايڤانز، وخاب أمله بمرارة عندما توقف كل بحث في عملية الشراء هذه، وأعلن جيرمان يومها أن مارك ايڤانز سافر إلى أميركا، ليفتتح مختبر أبحاث جديد، وأضاف جيرمان برضى أن قيمة أسهم هارولد بانهارد قد زادت قليلاً.

وعاودت لوسي التحديق بمارك ايڤانز، بوجه جامد:

ـ أعتقد أنك كنت في زيارة لجدي في بريوري؟.

ـ بناء على دعوته، لذا إذا كنت تحاولين لومي على نوبته القلبية الأخيرة، فانسي الأمر، فأنت تعرفين كما أعرف كم هو مريض. وأستطيع القول إن إدارة شقيقك للعمل وظهورك العلني الدائم في المناسبات لم يساعداه كثيراً في حالته المرضية. لذا عليك الآن أن تتحركي، إلا إذا كنتِ عنيدة، وقصيرة النظر مثل شقيقك.

وفتحت لوسي الخزانة وسحبت حقيبة صغيرة لتجمع فيها أغراضها، بعشوائية تقريباً، كانت تحاول إبقاء أعصابها تحت السيطرة، وأن تركز على التفكير بجدها وقلقها عليه.

لقد كان لها دائماً الصخرة التي ترتكز عليها. أمها توفيت وهي تلدها. ووالدها كان هوائياً فضّل التجول في العالم، ناسياً كل شيء عن هارولد بانهارد بدل توفير جو عائلي ملائم لطفليه. وهكذا تربى جيرمان ولوسي تحت كنف جدهما، ماثيو بانهارد، في بريوري، ولكن الصخرة الان بدأت تنهار، وأحسّت بالذعر الأعمى في داخلها. ونظرت إلى المرآة لتجد مارك ايڤانز يراقبها فقالت:

- هل عرف جيرمان بالأمر؟.

- يبدو أنه اختفى... لقد أرسلت غولمان ليفتش عنه، ولكن ربما بإمكانك مساعدتنا في تعقبه. أعتقد أنه مهتم الآن بإحدى غزواته المكلفة لزوجة رجل آخر.

ورفعت حاجبيها بازدراء:

- هل أنت متمسك بأهداب الفضيلة يا سيد ايڤانز؟ كم هذا غير عادي!.

- بالنسبة لوسطكم، ما من شك في هذا، ولكنني لست متعصباً يا حلوتي، فلا تجربي حظك، فأنا أؤمن بأنك تشاركين شقيقك نفس المفاهيم.

وكانت لوسي تحمل في يدها فرشاة شعر ثقيلة من الفضة فرمته بها بكل قواها. وتجنبها بسرعة، وقال بصوت ناعم.

- أنت حمراء الشعر وسريعة الغضب. وآمل أن تسيطري على نفسك في وجودي آنسة بانهارد. وإلا سأمسكها وأضرب بها بقسوة الجزء المدلل من جسدك. أهذا واضح؟.

- أكثر من واضح.

وكان صدرها يعلو ويهبط من الغضب، ولكن اكثر غضبها كان موجهاً لنفسها. كان عليها ان تبقى هادئة، وأن لا تسمح له بأن ينتصر عليها، أو على الأقل أن لا تتركه يشعر بالانتصار، وابتلعت ريقها، وحاولت السيطرة على تنفسها وقالت:

- سأغير ثيابي الآن، لذا من الأفضل أن تغادر الغرفة.

ورفع كتفيه دون مبالاة:

- إذا وجدتي هذا ضرورياً... فهذا الثوب الذي ترتدينه لا يترك شيئاً للمخيلة.

- للأسف ليس كل إنسان عنده مثل تخيلاتك!.

وفتح الباب لتدخل جولي.

- كنت أعتقد أنك ستحضرين بعض الثلج.

وتوقفت فجأة عندما شاهدت الرجل وتابعت:

- أوه يا عزيزتي... يبدو أنني دخلت في وقت غير ملائم، حبيبتي لوسي... يجب أن تتعلمي إقفال بابك جيداً.

- انت لم تدخلي في وقت غير ملائم. وأنا آسفة بخصوص الثلج. ولكن عليّ أن أغادر الحفلة، وسوف أسافر لبضعة أيام.

- هذا ما أسميه بالعمل السريع! ولا ألومك يا حبيبتي.

وأرسلت إلى مارك ايڤانز نظرة مثيرة متعمدة، فضحك فجأة. فقالت لها لوسي بسرعة:

- جولي... جدي يموت.

- ولكن لا يمكن هذا يا حبيبتي! إنه مائيو بانهارد. إنه من الخالدين... والجميع يعرف هذا. يبدو عليك الشحوب... سأنهي لك توضيب الحقيبة.

ونظرت إلى مارك وقالت:

- ربما تستطيع إحضار شراب لها، ولك أيضاً بالطبع.

- ليس الآن... شكراً، أمامي مسافة طويلة لقيادة السيارة.

وخرج من الغرفة، وأقفل الباب وراءه، وأخرجت جولي كومة من الثياب ووضعتها في الحقيبة!.

- من هو؟.

- انه مارك ايڤانز.

- يا إلهي!... ليس عجيباً أن يبدو وجهه مألوفاً لدي.

- وهل تعرفينه؟.

- رب عملي يعرفه، وشاهدت بعض صوره في الصحف، وحسب ما يُقال فإنه ديناميكي، وليس فقط في الإدارة.

- هذا لا يفاجئني أبداً.

- وهل يعني وجوده هنا أن الصفقة مع هارولد بانهارد، قد عادت للظهور ثانية؟.

- لست أدري، ولا أجرؤ على التفكير. كل شيء يجري بسرعة، وجيرمان مختفٍ.

- ألا تعلمين أين هو؟.

- أستطيع التخمين.

- لو كنت مكانك لاستدعيته فوراً. فهذا ليس وقتاً ملائماً للاختفاء صدقيني.

- وهل تظنين أن الأمر سيء لهذه الدرجة؟.

- من الممكن أن يكون، ومن المؤكد أنه يجب أن يكون هنا، كي يقاتل بدلاً من الوصول متأخراً لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فلا بد أن الأمر هكذا، وإذا لم تصدقيني فاسألي رب عملي.

- أوه... أنا أصدقك، ايثانز يبدو قادراً على كل شيء، ولكنه لا يخيفني...

وحملت حقيبتها وتوجهت نحو الباب، فوجدت مارك ينتظر هناك. ما من شك إنه قد سمع ما قالته. ولمعت أسنانه بابتسامة قاسية.

- هذا شرابك آنسة بانهارد، أم أنك لم تعودي بحاجة إليه.

- أجل... لم أعد أحتاج إليه.

كان كلامها شجاعاً... ولكنها عرفت ان هذا كذب، فهي بالطبع خائفة، تشعر برعب لم تختبره من قبل. وشعرت بكل دعائم وجودها وأمنها تتحطم واحدة بعد الأخرى، ولا شيء يمكنها فعله لمنعها من

التحطم. جدها يموت، كما قيل لها، ولكن الأطباء توقعوا له هذا من قبل، وكانوا مخطئين، وكما قالت جولي: ماثيو بانهارد رجل خالد. فهو لا يؤمن بالمرض، ونجاحه حماية حياته من مسيرة الزمن، وكان الأطباء يتذمرون دائماً من رفضه اتباع نصيحتهم، ويتذمرون من رفضه العلاج اللازم له، ولكن لوسي كانت تعلم أنهم سراً، معجبون بعناده وروحه المقاومة.

وحاولت تصور الشركة من دونه، كانت تشعر دائماً أنه يغذي الخلاف بين جيرمان وايريي غولمان، ولم تكن تشك أبداً في صف من سيقف... ولكنها الآن لم تعد واثقة.

عليها أن تتصل بجيرمان بطريقة ما، وأن تجعله يعود قبل فوات الأوان، لا بد أنه قد أخفى آثاره جيداً، حتى أن مارك ايثانز لم يجده، ولكن هذا ليس عجيباً، وتنهدت.

كانت تعلم أن جيرمان يضحك ساخراً من فكرة استقراره وإنجاب الجيل الجديد من عائلة بانهارد، مما أثار سخط جده عليه، فقد كان ماثيو بانهارد متمسكاً بالعائلة، والزواج المستقر، وكان يقول علناً إن زوجة وولداً قد يمنحان جيرمان إحساساً بالمسؤولية التي يفتقدها، ولكنه في نفس الوقت كان يسر عند سماعه عن مغامرة عاطفية لحفيده ويضحك قائلاً «هذا الكلب الشاب!».

ولكن في أية معركة ستجري بين جيرمان ومارك ايثانز حول السيطرة على شركة هارولد بانهارد، ستقاتل إلى جانب شقيقها على طول الخط، ونظرت من حولها فلم تجد مارك، وقالت لها جولي:

- لقد ذهب لإحضار سيارته، أنت بحاجة لسترة أو شيء مماثل.

- أجل. شكراً.

وكان عندها معطف بني على حواشيه فرو سميك، وبدا لها الوقت

مناسباً لارتدائه.

ورمت بالحقيبة على كتفها، وحملت المعطف على ذراعها... وتبعتها جولي إلى الباب الخارجي، فابتسمت لها لوسي وقالت:

- ربما الأفضل أن تعودي لضيوفنا.

فهزت جولي رأسها، ثم عضت على شفتها وقالت بنعومة:

- هوني الأمر عليك يا حبيبتي... وتذكري ما قلته لك.

- لن أنسى ما قلتيه.

وما إن فتحت الباب لتخرج إلى الشارع حتى توقفت سيارة مارك ايفانز، وخرج منها، وفتح لها الباب، منتظراً لتقطع الرصيف. وأجبرت لوسي نفسها على التحرك، فقد أحسّت بالارهاق، وأن السير هو مجرد فعل إرادة، الشيء الوحيد الذي يمنعها من الانهيار هو أنها كانت تعرف من سوف يمسكها إذا وقعت.

ونظر إليها مارك ايفانز بعد أن جلس في مقعده وقال عابساً:

- كان يجب أن تشربي شيئاً. هناك «ترموس» مليء بالقهوة في جيب المقعد.

- أنا بخير... شكراً لك.

- أنت تبدين مضطربة جداً... وما فائدة ذهابك إلى ماثيو ليراك على هذه الصورة؟ أم أنه معتاد على رؤيتك هكذا؟.

وصرّت لوسي على أسنانها:

- هل يمكننا الانطلاق الآن؟.

وجلست في السيارة وهو منطلق بها عبر لندن، وشعرت بالكراهية له. ولم يتكلم كثيراً، مرة سألها إذا كانت تعرف الطريق التي سيذهبان فيها، وبعد ذلك سألها ما إذا كانت تحب الاستماع لبعض الموسيقى.

في ظروف أخرى أو بصحبة أخرى. كانت ستتمتع بالموسيقى، مع اي

رجل آخر، ستكون الموسيقى أول حديث لهما على طريق التعارف. ولكن ليس مع هذا الرجل.

وتطلعت لوسي من حولها فجأة، وجلست في مقعدها متوترة:

- هذه ليست الطريق إلى بريوري.

- إنه ليس في بريوري، إنه في العناية الفائقة في المستشفى!.

وارتفعت يد لوسي بحدة إلى فمها، وخرج صوتها حاداً:

- إنه... يكره هذه الآلات.

- أعرف هذا... ولكن هذه المرة القرار ليس بيده، نظراً إلى أن الأمر كان اختياراً بين الموت والحياة.

- لو أن ماثيو سيموت، وهذا ما أشك فيه، لكان فضّل الموت بكرامة على فراشه بدل أن يكون مربوطاً إلى... اعجوبة الكترونية.

- وإذا كانت الأعجوبة الاكترونية ستكون كاسمها وتنقذه... فكيف ستشعرين تجاهها؟.

وارتمت ثانية في مقعدها، وعضّت شفتها وقالت بصوت خفيض:

- إنه رجل عجوز، وهذه ليست أول أزمة يمر بها، وأنا لا... أؤمن بالمعجزات.

- سأكون مهتماً بما تؤمنين به، إذا كان عندك إيمان. ولكن عليّ الانتظار، وحتى ذلك الوقت سيطُري على شكوكك الواضحة وخاصة أمامه.

- بالطبع سأفعل! وماذا تظن بي؟.

ودون أن تحتاج للنظر إليه عرفت أنه يبتسم بسخرية:

- هذا موضوع نقاش آخر لمناسبة أخرى آنسة بانهارد.

وشاهدت أنوار المستشفى عن بعد. فشعرت بالراحة فسوف تتخلص سريعاً منه، ما من شك أنه جاء يبحث عنها ليأتي بها إلى جانب فراش

ماثيو، نظراً لاحترامه للرجل المسن. ولكن بما أن مرض العجوز المفاجىء قد ألغى إمكانية أي حديث بينهما، فإن عليه على الأقل أن لا يبقى هناك معها... وما إن وصلا إلى أبواب المستشفى العالية حتى قالت له:

ـ سأكون شاكرة إذا انزلتني أمام الباب الرئيسي.

ـ اكره أن أتجاوز عن شكرك لي... ولكني أخشى أن لا أستطيع تنفيذ ما تطلبينه مني. سوف أضع السيارة في الموقف، ثم نذهب معاً لرؤية ماثيو.

وارتجف صوتها بالغضب:

ـ أرجو المعذرة، ولكن ألا ترى أن مرافقتك إياي قد تجاوزت الحد؟ أنا واثقة أنك تنوي أن تكون لطيفاً، ولكن من الآن وصاعداً، أعتقد أن ماثيو يرغب أن يرى افراد عائلته فقط.

وادار مارك السيارة بين سيارتين متوقفتين ليوقفها:

ـ في الواقع أجل.

وهز رأسه وهو يطفىء أنوار السيارة والمحرك.

ـ أخشى أن لا يكون الأمر بهذه البساطة آنسة بانهارد، فهناك عوامل أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار.

ـ مثل رغبتك المتعجرفة بالسيطرة على هارولد بانهارد. ليس بإمكانك أن تزعج ماثيو بهذه الأمور الآن.

ـ انا لم أفعل هذا أبداً... فكل الاتصالات الأولية هو الذي أجراها. ومهما كان شقيقك يظن، فشركة هارولد بانهارد، هي التي تحتاج لشركة ايڤانز العالمية، في هذه الظروف، وليس العكس، انت عضو في الشركة آنسة بانهارد، وحاملة أسهم، كما أعتقد، ألا تطّلعين أبداً على التقارير والحسابات؟ اقترح عليك أن تفعلي، في أقرب وقت. فهذا سينير

بصيرتك جيداً.

وفتحت الباب بشدة وقالت:

ـ لا أريد سماع المزيد من هذا، سأذهب لأرى جدي، فهذا كل ما يهمّني الآن.

وسارت في ممر المستشفى بسرعة، ولكنه لازم جانبها. فالتفتت إليه بوجه جامد:

ـ لقد أصبح الأمر سخيفاً.

ـ أوافق معك... ولكن قبل أن تسرعي إلى غرفة العناية الفائقة، قد يهمك الاستماع إليّ قليلاً. هناك شيء يجب أن تعرفيه.

ونظرت إلى وجهه القاسي غير المبتسم، وعيناها الخضراوان متسعتان.

ـ هل هناك تعقيدات أخرى؟ لا يمكن... اوه يا إلهي! لا يمكن أن يكون قد مات، وأنت لم تخبرني؟.

ـ بالطبع لم يمت... ولكنك على حق... هناك تعقيدات أخرى... ولكن ماثيو هو الذي سببّها، وليس من يعاني منها.

وشعرت لوسي بالقلق، ووضعت يدها على مؤخرة رقبتها:

ـ يبدو أن كل التعقيدات موجودة في رأسك سيد ايڤانز. هل بإمكانك التوضيح أكثر، وبسرعة.

ـ آخر مرة أبلغتك بها أنباء غير سارة آنسة بانهارد تذمرت لأنني لم أبلّغك بها بكل لطف.

ـ أنا لن أستمع إلى المزيد منك!.

واستدارت لوسي بقوة مبتعدة عنه، ولكنه منعها، وأمسك بذراعها، وجذبها لتلتفت وتواجهه.

ـ بل ستفعلين... وسوف تستمعين إليّ، إيتها الفاسدة المدللة، حتى إذا كان ماثيو واعياً وقادراً على الكلام، فستتمكنين من إسماعه ما يريد أن

يسمع.

- لأقول له إنني سعيدة لأنه سيبيع الشركة لك؟ ولكن هذا الكلمات لن تخرج مني.

- إذاً عليك أن تبلعيها جيداً... لأنه لا يطلب موافقته على أمور العمل... ما ينتظر ماثيو سماعه منك هو أنني طلبت الزواج منك... وأنك وافقتي...

●●●

٢ - ليس أمامها خيار!

ساد صمت صارخ ثقيل...

وقالت لوسي أخيراً بخشونة:

- لا يمكن أن تكون جاداً.

وأجابها مارك ايڤانز بنفاذ صبر متوتر:

- هل يبدو لك أنني أمزح حول مثل هذه الأمور؟ وفي وقت كهذا؟.

- ولكن لا يمكن أن يكون ماثيو... لا يمكن له...

- أخشى أن تكوني مخطئة بحساباتك.

وقادها وهو لا يزال ممسكاً بذراعها، نحو مقاعد جلدية موضوعة ظهراً إلى ظهر في غرفة الانتظار الرئيسية، وقال لها:

- اجلسي... سأتصل بالجناح لأرى ما إذا كانوا مستعدين لاستقبالنا.

وشعرت لوسي بالسعادة لقساوة المقعد من تحتها، كان فمها جافاً وهي ترتجف من رأسها إلى أخمص قدميها. ووضعت يديها على ركبتيها، وجلست تحدق بهما.

كانت أفكارها مشوشة، ولم تعد قادرة على استيعاب ما قاله مارك.

وبدا لها أن وقتاً طويلاً قد مر قبل عودة مارك. ولكنها كانت تعلم أن الوقت في الواقع لم يتجاوز الدقائق، ونظرت إلى وجهه الأسمر، وهي

WWW.RWITY.COM

تحضّر نفسها لمزيد من الأخبار السيئة.

ـ الممرضة تقول بعد ربع ساعة... سنذهب إلى المقهى وننتظر هناك.

ولم تفكر حتى بالاحتجاج، وذهبت معه نحوالمصاعد... كان هناك رجل مسن يحمل باقة زهور وشاب لم يتجاوز سن المراهقة يحيط فتاة حامل بذراعه وتبدو عليهما السعادة.

الزواج! الشراكة الأبدية، المشاركة بالحياة، الاستمتاع بانجاب الأطفال برغبة مشتركة، والاهتمام المشترك...

وتطلعت إلى مارك لتجده يتفحصها بسخرية جعلت وجنتيها تحمّران.

في المقهى، وبعد أن جلسا، وجدت القهوة لذيذة، ولكنها رفضت أن تأكل سندويشات الجبنة التي طلبها مارك. وعندما أنهى سندويشاته، رفع الطبق بعيداً عنه ونظر إليها قائلاً:

ـ بحق السماء، لا تنظري إليّ هكذا وكأنك تتوقعين أن أقفز عليك في أية لحظة، أعدك بأن هذا آخر ما قد أفكر به.

ـ لم أكن افكر هكذا! ولكنك لا تستطيع أن تقذف في وجهي بالأخبار هكذا وتتوقع أن أتقبلها دون تحفظ.

ـ أعتقد أن الحق معك، حسناً آنسة بانهارد، أظن من الأفضل لنا أن نتحدث قليلاً... أم هل أستطيع أن أدعوك لوسي، بعد أن عرفتِ بأننا تقريباً مخطوبان.

ـ نحن لسنا مخطوبين! أفضل أن أموت على هذا!.

ـ الموت قبل فقدان الكرامة؟ هذه وجهة نظر رجعية!.

ـ لا آبه البتة كم هي رجعية. والزواج المدبر انتهى أمره.

ـ لست أظن أن المجتمعات الأسيوية توافق معك. ولديهم إحصاءات الطلاق عندنا لتدعم وجهة نظرهم، ولكن ما أود أن أفهمك إياه أن عليك

أن تمتنعي عن إعطاء رأيك الصريح بي لماثيو، عن تصرفاتي وأخلاقي التي قد تكون في ذهنك، فهذا المشروع لزواجنا عزيز عليه، ولا يجب أن تسيئي إليه برفضه.

ـ وهل تقترح أن أوافق عليه؟.

ـ ولماذا لا؟ أنا مستعد لهذا... أنت لا تعجبيني بالقدر الذي لا أعجبك به يا عزيزتي... ولكن على الرغم من عدم معرفتك بهذا، فعلاقتي بماثيو تعود إلى زمن بعيد... لقد كان طيباً معي عندما كنت في بدايتي، وساعدني كثيراً وأعطاني النصح، وأنا مدين له. وأظن انك أيضاً مدينة له، لشقتك الفاخرة وثيابك الجميلة، ومنصبك الفخري في الشركة، هذا دون ذكر الحساب غير المحدود الذي تتصرفين به أنت وشقيقك.

ـ لا بد أنك كنت مشغولاً في جمع المعلومات.

ـ لقد حان الوقت ليجمع أحد عنكم هذه المعلومات يا حلوتي... وإلا لكان قطاركما خرج عن سكته إلى الأبد. لقد قرر جدك بأنني الرجل المناسب لهذه المهمة، وتعييني المدير الإداري سوف يقرّه مجلس الإدارة في الأسبوع القادم.

ـ لن يحدث هذا إذا تدخلت أنا وجيرمان.

ـ جيرمان سوف يجد نفسه معزولاً، ربما نسيتي أن حق التصويت لأسهمك هي تحت تصرف جدك إلى أن تبلغي الخامسة والعشرين من عمرك، ولقد وقّع على تفويض بدعم تعييني، وسوف يبيعني حصته، وهكذا لن أدير الشركة فقط. بل سأحاول النهوض بها مجدداً، وسوف أكون مسيطراً عليها.

ـ لقد... استغليت ضعف رجل عجوز...

وضحك بسخرية وقال:

ـ الأفضل أن لا يسمعك ماثيو تقولين هذا، لقد كان بأفضل حالاته

عندما وقّعنا الاتفاق، وإذا لم تكوني مصدقة فاسألي ايربي غولمان.

ـ ذلك... يهوذا الخائن؟.

وهز كتفيه:

ـ بالعكس، أجده رجلاً طيباً، وأظن أننا سنعمل بشكل جيد مع بعضنا.

وأمسكت لوسي بطرف الطاولة محاولة أن تعيد الاتزان لأفكارها:

ـ لا أصدق كلمة من هذا، جدي لن يبيع حصته لك، لقد كان دائماً يصّر على إبقائها للعائلة.

ورد عليها بهدوء:

ـ ستبقى في العائلة من وجهة نظره، ولكن عبر حفيدته وزوجها، بدلاً من حفيده، الذي كان يعرف بأنني أستولي على الشركة تدريجياً، وبدلاً من أن يبقى ليكافح من أجل مركزه، اختفى بعد أن ظن أن الخطر قد زال، وهذا سوء في التقدير، وهو خطأ فادح، عندما يكون الإنسان يدير شركة في ظروف كهذه.

وجلست لوسي جامدة وكأنها تحولت إلى حجر، وتابع مارك:

ـ بالطبع كان بإمكانك أن تحذريه، لو أنك ظهرتي في المكتب منذ عشرة أيام، ولكن سجّل حضورك هو أسوأ سجل رأيته في حياتي، رئيس فرعك مخلص لبانهارد وقال إنك تعملين في ترويج المبيعات في منزلك، ولكنه لم يكن مقنعاً بكلامه، وأعتقد أن المسكين لم يكن يجرؤ على القول لك إن العلاقات العامة ليست في التصرف كفتاة عابثة حسب توصية شقيقها.

فردت عليه لوسي بصوت اجش:

ـ أيها السافل!... كيف تجرؤ...

ـ أجرؤ على أكثر من هذا... ما كنت سأعارض لو أن هناك نتيجة، لو أن دعوات العشاء الحميمة للزبائن المحتملين، أو الحفلات الصاخبة في

شقتك، أو تمضية نهاية الأسبوع على متن يخت قد أثمرت طلباً واحداً، ولكن يجب أن تعرفي أن الأمر ليس كذلك، مع أنك تملكين وجهاً جميلاً وجسداً مغرياً، ولكن ما هو الأمر الخاطىء؟ ربما لم تكوني تعملين من كل قلبك.

وشعرت لويس بالغثيان من الغضب والخجل. فهي لم تكن تشعر بالحماس أبداً في عملها كمضيفة لزبائن جيرمان. ولكنها كانت تلعب الدور الذي اختاره لها، وتعلّمت خلال ذلك أن تلاحظ أية إثارة خاطئة في عيني أي إنسان، لأنها كانت تعرف بأنها تبيع منتجات هارولد بانهارد وليس نفسها.

صحيح أنها سمحت لجيرمان باستخدام شقتها للحفلات، ولكن بما أن الشركة هي التي تدفع إيجار هذه الشقة، فقد وجدت صعباً أن ترفض. ولكنها لم تكن تحضر الكثير من هذه الحفلات، وعادة تقضي تلك الامسيات مع الأصدقاء. ومنذ أن سكنت معها جولي، وجدت عذراً لجعل جيرمان يذهب إلى مكان آخر، لأن الدلائل كانت تشير إلى أنه لا يستخدم الشقة لأغراض بريئة كما يدعّي.

ولكنها الآن، وفجأة لم تعد غاضبة. فواقع أن دوافعها وتصرفاتها أصبحت مشكوكاً فيها وأسيء فهمها، جعلها للمرة الأولى تتساءل عن حقيقة تصرفات شقيقها، مما ألقى ظلالاً جديدة على اتهامات مارك لها بقلة الاحتشام، وابتلعت ريقها، محاولة التخفيف من تنفسها المتسارع. وقالت له:

ـ ليس لديك الحق أن تقول هذا لي! ماذا تظن أن جدي سيقول لو أنه سمعك؟.

ـ لا أعتقد أن جدك كان يعيش في فراغ في السنتين الماضيتين. ولا أظن أنه يعاني من الأوهام حول تصرفاتك. فالحب ليس دائماً أعمى.

وعلى الارجح يريد أن يزوجك قبل أن تقعي في مصيبة حقيقية. وهو يأمل بأن لا أكون قد سمعت شيئاً من أخبارك.

واصبحت القهوة الآن باردة ومرة، ولكنها كانت خائفة إذا رفعت الفنجان أن يكتشف مدى ارتجافها. وتابع كلامه ببرود:

ـ لقد حان وقت ذهابنا إلى قسم العناية الفائقة. الممرضة بدت غير متفائلة عندما كلمتها، ولكنه واع، وعندما يرانا معاً سيكون هناك فكرة واحدة في ذهنه، فهل بإمكاني القول له إننا اصبحنا مخطوبان دون تكذيبك لي؟.

وبللت شفتيها بلسانها وأجابت:

ـ وهل سيصدق... لأنه يعرف أننا تعارفنا لتونا؟.

وهز كتفيه:

ـ لو أننا حاولنا إقناعه إن ما بيننا هو حب، فربما لن يصدق، ولكن بما أننا نحن الثلاثة نعرف الواقع، فأعتقد أنه سيرتاح لأننا لم نضع الوقت.

ـ هذا يجعل الأمر يبدو لطيفاً... ولكن لماذا تستعجلوني هكذا؟.

ـ حسناً... ليس إلى الزواج بالطبع، فليس لديّ مشاريع بهذا الاتجاه، وإذا كان لديّ خطط كهذه، فلن تشملك يا عزيزتي الآنسة بانهارد، ستكون خطبة شكلية، هدفها الوحيد أن يرتاح بال جدك، ويطمئن على مستقبلك بعد أن يموت. لذا لا تدعي الغرور يتملكك بأنك قد سحرتيني.

ووقف، وثانية أحسّت بطوله الفارع، وسيطرة شخصيته القوية. لقد قابلت العديد من الرجال الناجحين، ولكن القليل منهم كان يمتلك هذه الجاذبية، ومعظمهم في مثل عمره، أواسط الثلاثينات يكون متزوجاً ومستقراً مع عائلته.

وسارت بصمت إلى جانبه، واستقلا المصعد إلى الطابق التالي حيث

قسم العناية الفائقة. وقابلتهما رئيسة الممرضات وطمئنتهما:

ـ إنه بخير أكثر مما توقعنا، هذا كل ما استطيع قوله، إنه بالتأكيد يملك قوة للمقاومة، ولكنه كان يرهق نفسه كثيراً.

وتمكنت لوسي أن تبتسم ابتسامة قلقة. وقال مارك بهدوء:

ـ أتمنى أن تكون الأنباء التي سنقولها له ذات تأثير جيد على نفسه.

ـ أي شيء قد يمنعه من القلق سيكون جيداً له، وأعتقد أن التهنئة لكما واجبة؟.

واحسّت لوسي بالصدمة عندما أخذ يدها ورفعها إلى شفتيه بسرعة ثم قال بصوت ناعم:

ـ لقد اكتشفتي سرنا يا أختنا.

ونظر إلى وجه لوسي المندهش، ورسم ابتسامة حنونة، ولكن عيناه كانت تلمعان بالسخرية وقال لها:

ـ بما أننا لم نعلن شيئاً بعد يا حبيبتي، يجب أن نحاول إخفاء مشاعرنا على الأقل علناً.

ومن خلال شفتين جامدتين أجابته ببرود: «أجل».

وانحنى فوقها، وللحظة تبعث الشلل، اعتقدت أنه سيقبّلها، وتوتر كل عصب في جسدها، لمسة يده كانت محنة كافية لها، ولكن أن تحس بشفتيه على بشرتها، فهذا أمر لن تحتمله، ويبدو أنه كان يعرف هذا تماماً... فتراجع عنها، ونظراته ما زالت تستحوذ على نظراتها المرتعبة المصدومة، وأصبحت ابتسامته قاسية وساخرة أكثر، وقال:

ـ هل نذهب لنرى مائيو يا حلوتي؟.

وخرجت رئيسة الممرضات، وتركتهما يلحقان بها، وتحركت شفتا لوسي قائلة:

ـ لا أظن أنني أستطيع القيام بهذه التمثيلية.

- بل ستستطيعين، فكل إنسان قادر على أن يمثّل دوراً رغم إرادته، وهذا هو دورك الآن، فسوف ينام ماثيو الليلة مرتاحاً وضميره هادىء، لأنه سيعرف أن أهم ما لديه في الدنيا، أنت والشركة، هما بين أيدي أمينة، فابتسمي يا حبيبتي. وتظاهري بأنني زبون مهم، أو ذلك الشيطان الذي كان يلاحقك عندما وصلت إلى شقتك.

- من...؟

والتفتت إليه ولمحت تعبير ازدراء على وجهه، وردّ عليها:

- لا... لا أظنك تتذكرين اسمه، فليساعد الله أي رجل يقع في حبك، أيتها الساقطة الصغيرة، والآن عليكِ أن تبدي سعيدة وتذكري أن هذا ليس من أجلي... إنه من أجل ماثيو.

وغرزت أسنانها في داخل شفتيها عندما فتح ماثيو عينيه وتمتم بشيء غير مفهوم، وسمعت صوته أعلى من الهمس قليلاً:

- يا فتاتي الحبيبة... لقد أتيت إذن... ومارك... هذا جيد... جيد...

- بالطبع نحن هنا، لا تحاول الكلام... سيكون كل شيء على ما يرام.

واتسعت عيناه الزائغتان لتنظرا إلى عينيها بتوسل:

- رائع... انت ومارك...

وردّت عليه بلهجة حازمة:

- أجل... لقد... حدثني بالأمر، ومع أنها كانت مفاجأة فقد رأيت أن هذا أفضل... للشركة ولكل شيء، لقد وافقت، سأتزوجه.

في اللحظة التي تكلمت فيها، تمنت لو أنها لم تستعمل هذه الكلمات المحددة، فأمام رجل يموت بدت وكأنها القسم، تبشير بطقوس دينية في المستقبل لجمعها ومارك برباط واحد، وارتجفت وقال مارك:

- سآخذها إلى المنزل الآن يا ماثيو، ونتركك ترتاح، ولكننا سنعود في الصباح، نم جيداً.

وأحست لوسي بضغط يد جدها على ذراعها، وحاولت مقاومة الدموع، بدا لها ضعيفاً هشاً... وما هي الضمانة بأنه سيرى صباحاً آخراً أو أن يعلم بأنهما عادا ليرياه؟.

ووصلا إلى الطابق الأرضي، وفتحت الأبواب بصمت، فقالت لوسي:

- يوجد هاتف عمومي هناك، ارجوك أن تطلب لي تاكسي.

- لا حاجة لهذا، أنت قادمة معي.

- أرجوك! إلى أي مدى ستستمر هذا المهزلة؟ جدي لا يرانا الآن، ولن يعرف بأننا افترقنا.

- كنت أنظر إلى الوضع بشكل عملي أكثر، بما أننا كلانا ذاهبان إلى بريوري، فستكون سيارة واحدة كافية.

ونظرت إليه بغباء... كلماته كانت تدور في مؤخرة عقلها:

- أنت... أنت مقيم في بريوري؟.

- لقد قلت لك هذا.

- لقد نسيت، ولكن الأمر لا يهم... بإمكاني البقاء في فندق.

- لن تفعلي هذا. فعائلة برونسون ينتظرونك، وقد أعدّوا لك غرفتك. فماذا سأقول لهم إذا لم تذهبي؟ هل أقول لهم إن كراهيتك لي قوية لدرجة أن لا تتحملي قضاء ليلة تحت سقف واحد معي؟.

- أنت بارع في الحلول الفورية لكل شيء... فكرّ بشيء تقوله لهم.

- لقد فكرّت... وسوف تذهبين معي حتى ولو اضطررت إلى ركلك في كل خطوة لك نحو السيارة.

وكانت لوسي على وشك أن تتحداه، ولكن الكلمات توقفت في حنجرتها، بعد أن أدركت أن ليس هناك شيء لا يجرؤ مارك ايڤانز على

فعله.

ورفعت رأسها بغضب، مظهرة أن الثورة والحقد يتفاعلان في داخلها بشكل متساوي. وسارت أمامه إلى السيارة.

وظهرت السيدة برونسون عند باب قصر بربوري ومدّت ذراعيها لتحتضن لوسي قائلة:

ـ أوه، آنسة لوسي، كم هي حزينة لك هذه العودة إلى المنزل! ولكنه سيتغلب على الأزمة، لا تخافي.

وابتسمت لوسي وهي تقبل خدها السمين، وقالت:

ـ رئيسة الممرضات تقول إن عنده روح المقاومة.

ـ ألم يكن هكذا دوماً؟.

والتفتت إلى مارك مبتسمة:

ـ مساء الخير سيدي، وشكراً لك لإحضارها هنا. لقد حضّرت لكما العشاء في غرفة الطعام الصغيرة، سأذهب لأسكب الحساء بينما يأخذ زوجي حقيبة الآنسة إلى غرفتها.

ودخلت إلى الحمام في الطابق الأرضي، فغسلت وجهها ورتبت نفسها وشعرها، ولكنها لم تضع زينة على وجهها... فآخر شيء ترغبه أن يظن مارك ايڤانز أنها تحاول إغراءه عمداً.

ـ هل أحضر لك شيئاً تشربينه؟.

ـ لا... شكراً... أنت مضيف رائع.

ـ إن لك منزلاً جميلاً.

ـ هذا صحيح، وأنا مندهشة لأنك لم تقنع جدي أن يبيعك اياه، مع كل شيء آخر.

ـ قد أفعل هذا.

ـ لا... لن تفعل... فبربوري ستعود لي حسب وصية جدي.

وسيحصل جيرمان على مجموعة اللوحات، وشقة لندن ونصف المال. لقد أرانا الوصية عندما كتبها منذ سنوات.

ـ هذا أمر جيد وعملي... وكم هو أمر مطمئن أن يعرف المرء ما له وما عليه.

ـ فعلاً... وكلي أمل أن لا أرث قبل عشر سنوات، إذا لم يكن عشرين.

وزالت السخرية عن وجهه وقال بحزن:

ـ لن اعتمد على هذا كثيراً يا لوسي.

ـ لا تقل هذا.

وهزّت رأسها برفض عنيف. فقال لها بهدوء:

ـ وأنا مثلك أمل أن يعيش طويلاً. ولكن علينا أن نكون واقعيين.

ولم تكن تريد الواقع... كانت تريد الراحة والطمأنينة التي يمثلها لها جدها منذ أن كانت طفلة صغيرة، فمن دونه ستصبح محرومة منهما تماماً، وإذا حدث الاسوأ، ستترك لندن لتعيش هنا في المنزل الذي أحبّته دوماً، وسوف يؤمن لها إرثها دخلاً لا بأس به، وستتمكن من أن تعيش على أساسه إذا لم تبالغ في الإسراف، ولن تندم أبداً على تركها وظيفة العلاقات العامة في شركة هارولد بانهارد. فهي لم تكن ناجحة أبداً فيها، فاسم عائلتها كان دائماً حاجزاً بينها وبين كل نجاح، فقد عاملها الجميع كطفلة تتعلم المشي، ويقدّمون لها الحلوى التي لا تنفعها كي تبقى ساكنة. وحكموا عليها بأنها غير نافعة حتى قبل أن تستلم وظيفتها، ولم يهتم أحد أبداً باكتشاف ما هي قدراتها.

بعد العشاء، أحضرت لهما السيدة برونسون القهوة إلى غرفة الاستقبال، وتمنت لهما ليلة سعيدة.

وصبّت لوسي القهوة، وهي تشعر بالتوتر، إنها الآن وحيدة تقريباً، مع

مارك الذي كان يبدو مرتاحاً. وأعطته الفنجان وكادت توقعه لاضطرابها، ثم تقدمت لتضع مزيداً من الحطب في المدفأة، ونظر إليها مارك بضجر:

ـ استرخي لأجل السماء، فأنا لن أهاجمك.

ـ لم اتصور هذا أبداً.

وعادت لتجلس في مقعدها وتشرب القهوة، وضحك مارك فجأة، وجعله هذا يبدو أصغر عمراً وأكثر جاذبية.

ـ إذاً عليك أن تبدأي التصور. فمن حولنا كل شيء مغري. النار تبعث الدفء، وفتاة جميلة، وليس هناك برنامج جيد في التلفزيون.

ـ أو لست متملقاً!.

ـ لست هكذا عادة.

وارتشف قليلاً من قهوته ثم وضع الفنجان على طاولة قريبة من مقعده، ونظر إليها، ومدّ يده إليها وقال بصوت لطيف:

ـ تعالي إلى هنا.

ما صدمها إن ما طلبه منها كان أسهل شيء تستطيع فعله، ولكنها لم ترغب به. إنه عدوها، وتكرهه. لقد أهانها، وأغاظها وجعل مشاعرها متوترة منذ اللحظة التي برز فيها في حياتها. وتذكرت شيئاً آخر إنه يظن إنها أسوأ نوع من الفتيات. فردّت عليه بخشونة:

ـ سأراك في الجحيم قبل أن أفعل.

ـ قد تكون الجنة ممتعة أكثر.

وأحسّت بالسخرية في صوته... إنه يظن بأنها تتظاهر بأنها صعبة المنال، وأنها عاجلاً، أسرع من آجلاً، سترتمي بين ذراعيه.

ووقفت على قدميها وهي تبتسم ابتسامة شاحبة:

ـ الجنة؟ أنت الآن تمدح نفسك بغرور يا سيد ايڤانز. وسأتركك لتخيلاتك، وسأذهب إلى النوم.

ـ هذه خسارة... لن تندمي... انا واثق أنني سأعجبك، حسب المفاهيم التي تتوقعينها.

ـ وهل هذه ضمانة شخصية منك؟ هذا أمر جديد! ولكنني لست مهتمة، عمت مساء!.

ـ أستطيع ضمان شيء واحد... إنك على الأقل ستتذكرين اسمي، وهذا أمر جديد.

وسارت لوسي نحو الباب، وأعصابها تقفز لدى كل خطوة، خائفة من أن يتبعها، لأنها على الرغم من كل ما حدث، لم تكن واثقة كيف ستكون ردة فعلها إذا حاول لمسها. كانت تأمل بأن تقاومه، ترفسه وتعضه وتخدشه لتتخلص منه، وأن تتصرف كأنثى الثعلب المتوحشة، ولكنها لم تكن متأكدة أبداً من هذا، وأدركت أنها لن تشعر بالأمان قبل أن تصل سالمة إلى غرفتها وتقفل الباب وراءها، ولأول مرة في حياتها... ستقفل الباب جيداً...

●●●

٣ ـ زهرة عطشى للمطر

استيقظت لوسي مذعورة في الظلام، وقد تذكرت أنها لم تتصل بجيرمان. إنها لم تنس ولكن لم تتح لها الفرصة بوجود مارك، كما أنها لم ترغب في أن يعرف، فهي تريد أن تكلم شقيقها في سرية كاملة.

وتنهدت وهي تدفع الأغطية عنها، وتتناول روبها، أول ما ستفعله أن تذهب إلى غرفة جيرمان، لتجد دفتر العناوين وأرقام الهاتف، ثم تفتش عن رقم هاتف ڤيلا كارين ڤوكسهول حيث تعرف أن جيرمان هناك. لو أن هذا الدفتر وقع في أيدي سيئة القصد... لتسبّب في عشرة طلاقات على الأقل، ووقفت لحظة تصغي، المنزل كان ساكناً، ليس فيه أي ضوء.

ووجدت دفتر الدليل في غرفة جيرمان، فوضعته في جيب روبها، ثم نزلت إلى الطابق الأرضي.

وأغلقت باب المكتبة وراءها دون إصدار أي صوت، وأضاءت الأنوار. كانت طاولة مائيو موضوعة قرب النافذة، والهاتف عليها، وبعد صعوبة أولية في التقاط الخط توصلت إلى الاتصال بالڤيلا. وبعد برهة طويلة جاءها صوت امرأة يبدو عليها النعاس:

ـ نعم؟.

وقالت لوسي بكل أدب:

ـ مساء الخير سيدة ڤوكسهول، أريد التحدث إلى جيرمان بانهارد.

وساد صمت قصير ثم قالت:

ـ من المتكلم؟.

ـ أنا شقيقته لوسي. لقد تقابلنا مرة، في حفلة عشاء.

ـ أوه أجل... حسناً، وما الذي يدفعك للظن أن جيرمان هنا آنسة بانهارد؟.

وأخذت لوسي تصلي كي لا ينفذ صبرها.

ـ في الواقع... لست واثقة أين هو سيدة ڤوكسهول، وأتمنى أن تساعديني، لدينا أزمة هنا. جدي أصيب بنوبة قلبية حادة، وأعتقد أن على جيرمان أن يأتي إلى هنا حالاً، لعدة أسباب، لذا إذا كنت تعرفين أين هو، فربما تستطيعين إيصال رسالة له.

ومضت لحظات صمت، ثم قالت كارين ڤوكسهول باقتضاب:

ـ سأرى ما أستطيع عمله.

وأقفلت الخط. وتنهدت لوسي وهي تعيد السماعة ببطء. ثم سارت نحو الباب وخرجت إلى الردهة بعد أن أطفأت النور في المكتبة، وأقفلت الباب.

ـ هل تسيرين خلال نومك؟.

كادت تصرخ من الخوف، وارتفعت يدها إلى فمها في الوقت المناسب لتمنع صرختها، وقالت:

ـ لقد أفزعتني...

ـ وأنت أيضاً، عندما رأيتك تمرين أمام الباب، ظننتك في البداية شبح المنزل، ولكن لو كنت شبحاً لاستطعت الرؤية من خلالك، بدلاً من الرؤية من خلال هذه الملابس السخيفة التي ترتدينها.

وأدركت لوسي محرجة، أنها بوقوفها في وجه النور المنبعث من الغرفة، كانت تقدّم له عرضاً صريحاً لكل ثنايا جسدها، ومدّت يدها بسرعة لتطفىء النور ثانية. وسألته:

ـ ماذا تفعل هنا؟.

ـ أفكر...

ـ وهل تجد الظلام مساعداً لك على التفكير؟.

ـ أجد أن الظلام أحياناً يجمع الأفكار معاً، وهذا أمر مفيد، هل لي أن أسألك في المقابل... ماذا كنت تفعلين هنا؟.

ـ لم أستطع النوم لقلقي على جدي، وأتيت إلى هنا لأحضر كتاباً.

وضحك وهو ينظر إلى يدها الفارغة:

ـ ولكنك لم تجدي طلبك، أم أنك قرأتي كل الكتب من قبل؟.

ـ لقد قررت أن تناول بعض الحليب الساخن أفضل لي، وكنت ذاهبة إلى المطبخ لأحضره.

ـ هذا أمر طفولي... أقترح عليك تناول دوائي الخاص.

ـ المشروب كما أعتقد.

ـ لا... ليس هذا.

وتجولت عيناه فوق جسدها من الرأس إلى أخمص القدمين، مما جعلها تحس بانقطاع أنفاسها، وكأنما يداه اللتان تتجولان فوق جسدها وليس عيناه، وشهقت قائلة:

ـ أنت مثير للاشمئزاز!.

ـ وأنت كاذبة... فأنت تعرفين ما ينتظرك عندما تظهرين نفسك هكذا أمام رجل وأنت عارية تقريباً، وأنا لا أهتم بادعائك حول الكتب أو الحليب الساخن، فهناك سبب وحيد يدفعنا معاً للتجول في المنزل عند الثانية صباحاً، ونحن نعاني من الأرق، وأنا أكيد أنني لست بحاجة لأن

أوضح لك ما هو.

ـ الأمر ليس كما تفكر...

ـ كما قلت لك... لقد توقفت عن التفكير، وأقترح أن تفعلي مثلي... دعي مشاعرك تقودك، ربما لا نحب بعضنا يا لوسي، ولكنني على استعداد للمراهنة على أن هناك شيئاً مشتركاً بيننا.

وخطا نحوها، وهو يحدق بها دون أن يدع شيئاً يفلت من نظراته، ولمس وجهها، ومرر اصابعه على خدها. وقال بهدوء:

ـ إذا كان هذا سيعطيك بعض العزاء، فأنا لم أقصد أن يحدث هذا الآن.

وأخذها بلطف بين ذراعيه، وضغطها على جسده القوي، وبدأت تحس بشيء يتحرك في داخلها، تحول ببطء إلى ألم حقيقي.

وغمرها الشعور بأنها مرغوبة، ولم تحاول الاعتراض.

منذ ساعات قبل الآن، كان مجرد التفكير بلمسته يملأها بالتوتر، ولكن الآن، استكانت بين ذراعيه دون وعي منها كزهرة عطشى تسعى إلى أولى قطرات المطر. وحملها بلطف إلى عتمة غرفة الاستقبال.

وركع وهو يمددها على سجادة الفرو قرب المدفأة، وانحبست انفاسها وهي تنظر إليه، وقال لها هامساً:

ـ أنت جميلة جداً ولا يحق لك إخفاء نفسك، دعيني اشبع نظري منك.

وصدر عنها تأوهة تتراوح بين الذعر والرغبة، فتراجع عنها، وشاهد عينيها المغمضتين فقال:

ـ هل نمتي؟ لا يمكن أن تكوني خجولة هكذا. افتحي عينيك، لا يمكن أن تتحولي إلى حجر هكذا.

رنين الهاتف الفجائي كان كالصدمة الكهربائية، كالسوط يلذع

إحساسها، وابتعد عنها مارك، والغضب الأسود باد على وجهه.

- يجب أن نرد على الهاتف قبل أن يستيقظ آل برونسون...

وقالت لوسي، وفمها قد جفّ:

- غرفتهما في الجناح الآخر... ولن يسمعوا...

ووضع أصبعه فوق شفتيها ليسكتها، وقال بهدوء:

- يجب أن تدركي بأن المتكلم قد يكون من المستشفى.

وتركها وخرج، وغطت عينيها بيديها وهي تتمنى الموت من الخجل، لم تدرك هذا من قبل لأنها كانت ضائعة، غير واعية إلا للمشاعر التي أثارها في داخلها، وجلست وهي ترتجف، الخجل والذنب يتصارعان في داخلها، لماذا تصرفت هكذا؟ بعد لقائهما بعدة ساعات جعلها مارك تتصرف وكأنها العابثة التي يعتقدها، ولن تسامح نفسها أبداً. جدها يمكن أن يموت، وها هي تترك رجلاً تكرهه تقريباً يعانقها دون أن ترفع اصبعاً لمنعه.

وانتظرت عودته، ولكنه قال لها من عند الباب:

- إنه جيرمان... يرمّ على مكالمتك التي أجريتيها معه.

ونهضت من مكانها دون أن تجرؤ على النظر إليه، وركضت نحو المكتبة وسألها جيرمان على الفور:

- ماذا يفعل عندك؟.

- إنه يستولي على الشركة إذا لم تستطع أن توقفه.

- أشكر الله أن كارين اوصلت لي الرسالة، ولم تكن مصدقة أنك شقيقتي، لقد شعرت بالغيرة!.

وشعرت لوسي بالغثيان لكلامه.

- أنا لست مهتمة بالألاعيب التي تلعبها أنت ونساؤك، ألن تسأل عن صحة جدك؟.

- ما مدى خطورة مرضه؟ وهل هناك فرصة بأن أحضر في الوقت المناسب؟.

- ليس هناك أية ضمانة... شكراً لاهتمامك.

فتنهد وقال:

- لم أعني هذا يا حبيبتي... أنا مرتبك قليلاً، هذا كل شيء، لم الوقع حدوث مثل هذا...

- ولا أنا... هل أقول لجدي إنك في طريقك إليه عندما نراه غداً، أي اليوم؟.

- بالطبع يا لوسي... ولكنك قلت نحن.

- اقصد هذا بالضبط.

- ابعدي هذا السافل عن جدي... هل تفهمين؟.

فابتسمت لوسي بمرارة:

- ليت الأمر بسيطاً هكذا... احضر إلى هنا بأقصى سرعة.

ووضعت السماعة مكانها والتفتت إلى مارك بهدوء مدهش، فحدق بها بامتزاز غاضب لم يحاول إخفاءه.

- لقد نسيت أن الهاتف في المكتبة، ولهذا كنتِ هنا بالطبع، تطلبين النجدة منه، لقد قمت بدورك على ما يرام. وعندما لا يعود عالم العلاقات العامة بحاجة إليك، وهذا سيحدث عما قريب، فجربي المسرح. قولي أنها الجميلة... أليس هناك حدود لما قد تفعلينه لمساعدة هذا الأخ الفاسد؟.

- أجل... هناك حدود... على الأقل لن أفعل شيئاً معك سيد ايفانز، فأنا لست ممثلة جيدة لهذه الدرجة.

ونظر إليها بشراسة، وغطى لون قاتم مخيف وجهه، ثم استدار وترك الغرفة. وتنهدت لوسي بارتياح، واستندت إلى الطاولة، محاولة

استعادة سيطرتها على نفسها، وأدركت أنها قد نجحت في تحويل مارك ايڤانز من صديق غير مؤكد إلى عدو شرس، بكل ما تعنيه الكلمة، ولكن على الأقل قد يعني هذا أنها لم تعد مضطرة لمقاومته وإبعاده عنها، وارتعدت وهي تتذكر ما مرّ بها معه، والذي كاد يدفعها إلى حافة الجنون.

في الصباح التالي كانت تشعر كأنها على حافة الموت عندما حضرت السيدة برونسون تحمل صينية الإفطار لها، وتطلعت مدبرة المنزل بوجهها الشاحب وبالظلال حول عينيها، ثم قالت لها إن السيد ايڤانز يقترح أن يذهبا إلى المستشفى بعد ساعة:

ـ لقد اتصل بهم باكراً، وقالوا إن جدك أمضى ليلة مرتاحة.

وارتشفت لوسي بضع رشفات من عصير الليمون، وصبّت فنجاناً من القهوة دون سكر، ولم تستطع أن تأكل شيئاً، فكلمات السيدة برونسون ذكّرتها بأن عليها بعد قليل أن تنزل إلى الطابق الأرضي لتواجه مارك ثانية.

وانتظرت إلى أن انقضت الساعة التي حددها مارك، ونزلت إلى الطابق الأرضي، ووقفت في الردهة، وتساءلت أين هو مارك يا ترى. ثم سمعته يتحدث على الهاتف في المكتبة، وسمعته يقول «الاجتماع الاسبوع القادم» و«يمكن أن يكون مصيرياً» وعلمت أنه يتحدث عن شركة هارولد بانهارد، ثم سمعته يقول «هناك تصور آخر لم يكن متوقعاً، وسأحدثك عنه عندما أراك» واحمّر وجهها وهي تفكر بأنه يقصد رغبة ماثيو في أن يصبحا مخطوبين، ولم تسمع صوت إرجاع السماعة مكانها، وفي اللحظة التالية فتح الباب ووقف مارك يحدق بها بسخرية:

ـ هل سمعتي شيئاً مفيداً لك؟.

ـ أظن أنني وصلت متأخرة.

ـ حظ أفضل في المرة القادمة، هل بإمكانك الاختزال؟ يمكنك وضع مسجلة صغيرة لتسجلي ما أقول!.

ـ شكراً لك على هذه النصيحة، شركة هارولد بانهارد لم تفكر أبداً بالتجسس على أخبار الشركات الأخرى من قبل، ولكنني أظن أنك خبير بهذا الأمر.

ـ أنا لا اصل إلى هذه الدرجة. ولكن إذا كانت شركتي معروضة للبيع فساستعمل كل الوسائل، كما اكتشفتي بنفسك ليلة أمس، هل نذهب الآن؟.

وبدت ابتسامة رضى على وجه ماثيو عندما دخلا غرفته ويد مارك تحت ذراع لوسي، وسألها بلهفة:

ـ هل انت على استعداد للعب دورك يا حبيبتي؟.

ـ أنت تبدو الآن رائعاً يا جدي.

وتقدمت من سريره لتقبله، فقال:

ـ أشعر بأفضل حال. ولقد سئمت هذا المكان اللعين.

ـ عليك بالصبر.

وجلست بقربه على السرير وأمسكت يده، فأجابها:

ـ في مثل سني لا استطيع أن أكون صبوراً... هل قررتما موعد الزفاف؟.

فتوترت أعصابها بشدة، ولكنها أجبرت نفسها على الضحك:

ـ حبيبي... نحن... لقد التقينا لتونا! يجب أن تعطينا فرصة... على الأقل لنعرف بعضنا أكثر.

ـ أريد تحديد موعد الزفاف... فهذا سيعطيني شيئاً أتطلع إليه بشوق... شيء يكون هدفاً لي.

واستغلت لوسي الفرصة لتقول:

ـ جيرمان سيجيء إلى هنا اليوم.

فدمدم ماثيو بحنق:

ـ هذا كرم أخلاق منه، أين كان بحق الجحيم؟.

ـ إنه مع بعض الاصدقاء في الخارج، وهو متشوق لرؤيتك.

وتمتم مائيو بكلام غير مفهوم وصمت، ولم يبدو سعيداً وغيّرت لوسي موضوع الحديث كي تسليه، فكان يبتسم ويعلّق بما هو مناسب، ولكنها تعرفه جيداً لتدرك أن أفكاره في مكان آخر، ولم تندهش عندما أرسلها إلى مكتب رئيسة الممرضات بحجة أن تسألها متى يستطيع الخروج من المستشفى.

كان واضحاً أنه يرغب في التحدث مع مارك على انفراد وأغاظها أنها لن تسمع ما سيقال، وأن تدرك أن الرجل الغريب عنهم تماماً قد كسب ثقة جدها، بدلاً من ثقته بعائلته.

لو أنه راضٍ عن جيرمان، لكان ترك له خلافته، في رئاسة الشركة، ولما كان كل هذا قد حدث، ولكن هل يعرف جيرمان عمق الهوة بينه وبين جده؟ وهل بإمكانه، عندما يصل أن يستعيد بعض ما خسره؟.

أو هل يمكن أن يسمح مارك بحدوث هذا؟ عدم الولاء للعائلة أمر مزعج لها، ولكن عليها أن تعترف أن الغلبة ستكون إلى جانب مارك كلما حدثت بينهما أية معركة، وهذا هو الأمر المحتمل، مارك قاس، ومصمم، وناجح، ومن سوء الحظ أن تكون مساعدة ونصح مائيو بانهارد هما اللذان دفعاه على طريق النجاح.

ولكن جيرمان امتلك نفس الفرص، وأكثر... فلماذا لم يحقق شيئاً؟.

وعادت لوسي من غرفة رئيسة الممرضات لتلتقي بمارك خارج غرفة مائيو، وقال لها:

ـ الأخصائي في طريقه لفحص مائيو، لذا قلت له إننا سنعود عند المساء... ما أخبارك مع رئيسة الممرضات؟.

ـ ليست جيدة، لن يسمحوا له بمغادرة المستشفى عن قريب.

فابتسم مارك وقال:

ـ لقد قال مائيو عنها إنها مثل التنين وقلت له أن يحسّن من تصرفاته كي لا يبقى هنا طويلاً.

وتساءلت عما تحدثا به غير هذا، ولكن مارك لم يبدو أنه مستعد أن يقول لها شيئاً، ولم يكلمها أكثر من كلمتين في طرق عودتهما.

وبعد ساعة من وصولهما سمعت صوت سيارته تخرج، وعلمت من السيدة برونسون أنه ذهب إلى المدينة وسيعود قبل المساء.

وغضبت لوسي لهذا، فلماذا لم يخبرها بأنه ذاهب إلى لندن؟ وبغضب اتصلت بشركة هارولد بانهارد وطلبت إيصالها بايربي غولمان الذي بدا متوتراً وهو يرد عليها:

ـ لوسي؟ ما الأمر، هل مائيو بخير؟.

ـ إنه بخير تماماً، إنه يعتقد بأنه لو شنّ الحرب على الممرضات فسوف يسمحون له بمغادرة المستشفى.

فضحك، ولكن التوتر بقي في صوته.

ـ هكذا هو مائيو العجوز. لقد ازعجتنا جميعاً هذه الأخبار عنه، إذا كان هناك ما أستطيع فعله، اعلميني فوراً يا عزيزتي.

ـ في الواقع هناك شيء يا ايربي، كنت افكر أن أجيء إلى لندن بالقطار لأتسوق، وأتمنى أن أتغدى معك.

ـ سأكون مسروراً، ولكن بما أنك ستتسوقين، فالأفضل أن نلتقي في المطعم حوالي الواحدة؟ سأطلب من سكرتيرتي أن تحجزلنا طاولة.

ـ عظيم... لقد مر زمن طويل لم نر فيه بعضنا، أو نتحدث معاً.

ـ حسناً... حتى الواحدة إذاً.

ولم تغيّر ثيابها، بل مشطت شعرها فقط، وأضافت بعض المساحيق على وجهها.

كان ايربي ينتظرها في المطعم، ونهض مبتسماً عندما شاهدها، وأجلسها في مقعدها وأشار إلى الساقي:

- أنت تبدين رائعة كما أنت دائماً... ماذا ترغبين؟.

- قليل من الليموناضة.

بعد أن طلب الشراب لهما معاً قال لها:

- حسناً... كيف حالك يا لوسي؟ لم نعد نشاهدك كثيراً هذه الأيام.

- كان يجب أن أحضر إلى المكتب أكثر.

- انا لم أقصد انتقادك... على كلٍ، انت لا تعملين في قسمي... إضافة إلى...

وتوقف فجأة وقد بدا محرجاً، فقالت:

- إنها ليست وظيفة حقيقية، إنها وظيفة مدبرة لإبقائي بعيدة عن المسائل المهمة... أنا أعرف هذا يا ايربي.

- أجل... أعتقد هذا، مع أنني واثق أن الأجر المدفوع لك ليس كافياً مهما كان.

- شكراً لك يا ايربي... هل استطيع الاعتماد عليك في الاسبوع القادم عندما يثير السيد ايڤانز موضوع مستقبلي في الشركة؟.

وبدا عليه الارتياك أكثر، فقالت بنعومة:

- أم من المفترض أن لا أعرف... لقد خاب أملي فيك يا ايربي... كنت أعتقد أن صديقاً قديماً عليه أن يحذرني مما تحمله الرياح لي، وكما قلت، كان يجب أن أحضر إلى المكتب أكثر.

سراً، كانت ترغب في إزعاجه، وسرّتها نظرة التألم التي مرت على وجهه وقال لها:

- أخبريني عن احوال مائيو، لقد كانت صدمة مزعجة لنا جميعاً، لقد كان بأكمل صحة ومليئاً بالأمل.

- هذه كلمة غريبة.

- ولكنها مناسبة، فلست أدري إذا كنت تعرفين شيئاً عن وضع الشركة يا لوسي، إنها ليست في وضع جيد، ولم تكن كذلك منذ مدة. لقد واجهنا مضاربة عدة شركات كبيرة، ولم نكن نكسب الكثير في الأسواق، وهذا الذي يزيد الأمور سوءاً ويدفع كل شيء إلى حافة الانهيار، قسم الأبحاث عندنا توصل إلى تصميم بضائع ممتازة، ولكننا بحاجة إلى من يستثمر ماله لإنتاجها، وشركة ايڤانز العالمية مستعدة لهذا.

- لقد قدّم لنا عرضاً لا نستطيع رفضه كما أرى، لقد أخبرني مارك ايڤانز أنك إلى جانبه، ولكنني لم أصدقه.

وبدا ايربي غير مرتاح أبداً.

- إنها ليست مسألة إلى جانب من يا عزيزتي...

- أليست كذلك؟ لقد عملت مع جدي يا ايربي ومع أبي. وكنت تدّعي دائماً أنك تحبهما، وكنت أعتقد أن هارولد بانهارد يمكن أن تعتمد على ولائك لها.

وتحرك في مقعده بارتباك:

- الولاء لا دخل له هنا يا لوسي... كما أحاول أن أوضح لك، إنه ببساطة مسألة اقتصادية بحتة، فنحن بحاجة لشركة ايڤانز العالمية، ولمارك ايڤانز ايضاً... وإلا سنفلس.

- وعندما تبتلعنا امبراطوريته... ماذا سيحدث؟ هل تريد لاسم بانهارد أن يختفي؟ وأن يعيش مائيو ليرى بعينيه كل سنوات كفاحه تتلاشى، بين فكي سمكة قرش ضخمة؟.

وبدا ايربي مصدوماً وهي تقول هذا بعنف. فقال:

- يا فتاتي العزيزة، أعلم أنك تواجهين أوقاتاً صعبة، ولكن حاولي أن تهدئي نفسك، إنها ليست نهاية الدنيا، صدقيني، وأنا واثق أن اسم

بانهارد سيبقى، وجدك مصمم على هذا فقد أبقى هو على اسم شريكه القديم هارولد الذي لم يبق مع الشركة أكثر من عدة أعوام قبل وفاته، ولديه مشاريع لإبقاء اسم بانهارد حياً، وأنا أعلم هذا، وواثق أن مارك ايڤانز سوف يوافق، وهناك نية طيبة مرتبطة بالموضوع.

- أجل... أعلم هذا... ولكن ايربي أنا خائفة.

وكانت هذه حقيقة حتى ولو لم تقلها من قبل. لقد دبّرت أمر هذا الغداء بنية أن تكسب تأييد ايربي، وأن تبعده عن تحالفه الجديد مع مارك ايڤانز، وكي تعطي وقتاً لجيرمان للتنفس كي يعيد تقوية وضعه كوريث لجده، ولتحاول هزم مارك ايڤانز في لعبته الخاصة.

ايربي رجل مهذب، ولكنه يعرف كيف يعيش حياته، ولديها أسباب تدعوها لأن تؤمن بأنه كان يحيا كما يريد بعد طلاقه، وإذا كانت مصممة على اكتسابه، فلن يكون هذا عبر الوعود فقط، وربما سيطلب منها أن تتزوجه، فقد كانت تتوقع هذا يوماً، ولكنها كانت تعرف بأن ما يمنعه هو فارق عشرين سنة بينهما، وأن ماثيو بانهارد عنده أفكار رجعية جداً حول الطلاق والزواج من جديد.

وجاءها صوته مليئاً بالاهتمام:

- يا حبيبتي المسكينة! مما أنت خائفة؟.

- من مارك ايڤانز، ومن غيره؟.

- ولكنه لا يستطيع أذيتك... ولماذا قد يرغب في أذيتك؟ أنت حفيدة ماثيو... ويجب أن لا تخافي من شيء.

- أجل... لا اعتقد أن عليّ أن أخاف... ولكن هناك قصة كنت أكرهها منذ طفولتي... تلك عن الخنازير الثلاثة... ولديّ شعور بأن مارك ايڤانز سوف ينفخ وينفخ ليدمّر بيتي فوق رأسي، هذا سخيف أليس كذلك؟.

وضحكت، ولكنها أحسّت بايربي يجفل، ونظرت إليه متفحصة وهي تتساءل عما إذا اصابت كلماتها وتراً حساساً فيه، إذا كان يعرف شيئاً لا تعرفه هي، ولكنها لاحظت أنه ينظر من فوق كتفها إلى الباب فالتفتت لترى ما الذي استرعى انتباهه، وأحست وكأن كل أنفاسها قد خرجت من جسدها وهي تشهق.

لقد دخل مارك لتوه إلى المطعم، وهو يقف ناظراً من حوله دون اكتراث، وإلى جانبه، متعلقة بذراعه، واحدة من أجمل الفتيات التي شاهدتهن لوسي في حياتها...

●●●

٤ ـ الوجه الآخر للغيرة

ـ تكلّم عن الشيطان، تجده أمامك. . . ما كان يجب أن نأتي إلى مكان معروف كهذا.

وهزت لوسي رأسها وأصدرت صوتاً ممكن أن يكون كلمة لا، وأدارت رأسها فوراً وهي تصلي كي لا يراها، على الرغم من أنّ الأمر مستحيل. فقد كانت ترتدي نفس الملابس التي كانت ترتديها ساعة ذهبا إلى المستشفى ولم يكن لديها حتى شال تغطي شعرها به، وصرّت على أسنانها، فقال ايربي:

ـ لا بأس. . . لقد ذهبا رأساً إلى زواية المطعم، ولا أظن أنه شاهدنا، من هذه المخلوقة المذهلة التي برفقته؟ وجهها يبدو مألوفاً. . .

ـ إنها عارضة كما أعتقد.

ـ حسناً. . . على الأقل هذا يبرهن على أنه من البشر، انظري إنهم يعرفونني جيداً هنا. . . فإذا كنت تفضلين أن نلغي حجزنا هنا ونذهب إلى مكان آخر.

ـ بالطبع لا، إلا إذا كنت ترغب أن لا يرانا معاً.

ـ لم أفكر أبداً بهذا، لوسي أنت بالطبع لا تظنين. . .

ـ لا. . . بالطبع لا، هل رأيت تأثيره عليّ يا ايربي؟ لمحة واحدة له وبدأت أرتجف!.

الطعام كان رائعاً. ولكنها رغم شعورها بالجوع لم تستسغه، وأكلت ما وضع في طبقها دون أن تحسّ بطعمه، وفي نفس الوقت استمرت في الحديث مع ايربي، وأخذت تنظر إليه وتستخدم رموشها لسحره، هناك لحظات معينة تعرفها جيداً عندما يتحول الغزل الذي لا ضرر منه إلى إغراء واضح، وحاولت أن تتجنب هذا، ولكنها اليوم كانت متهورة، تقودها قوة داخلية لم تعرف ما هي، ولم تجرؤ على تفحصها تماما.

وقال ايربي أخيراً، بصوت أجش:

ـ هل نتناول القهوة هنا، أم في منزلي؟.

حسناً هي من طلبت هذا، والقرار الآن لها، ولم تعرف ماذا تجيبه، رفض صريح وسيشعر بأنها خدعته، ولكن إذا وافقت. . . واجتاحتها موجة من الاحتقار لنفسها وهي تفكر بما ستكون عليه بعد ساعة أو ساعتين، فابتلعت ريقها وقالت:

ـ ايربي. . . انا. . .

وتوقفت عن الكلام فجأة وقد لاحظت أنهما لم يعودا لوحدهما، ونظر إليها مارك ووجهه الأسمر ساخر وهو يتفحصها بنظراته.

ـ هل أضجرتك الحياة في الريف. بهذه السرعة؟.

ثم التفت إلى مرافقها قائلاً:

ـ غولمان، أنا بحاجة للحديث معك بشكل عاجل وضروري، وأعتقد انك ستذهب إلى المكتب رأساً من هنا؟.

ـ بالطبع. . . بعد أن أوصل لوسي إلى حيث تقصد.

فتدخلت لوسي بسرعة:

ـ لا بأس. . . استطيع أن استقل سيارة أجرة، وفي الواقع لم ألاحظ أن الوقت تأخر. . . يجب أن أذهب الآن حقاً.

وقال لها مارك:

ـ سأطلب من حارس الباب أن يحضر لك تاكسي.

وانصرف عنهما تاركاً ايربي شديد الإحراج وأشار لإحضار الفاتورة، وشعرت لوسي بالذنب فقالت وهي تحاول الابتسام:

ـ إنه غداء رائع يا ايربي، وأنا آسفة لانتهائه سريعاً.

ـ وأنا كذلك... سأتصل بك.

وضغط على يدها وهما يسيران نحو الباب، فأجابت كاذبة:

ـ سأنتظر مكالمتك.

وشاهدت مارك يقف مع رفيقته، وبالكاد ظهرت ابتسامة على شفتيه وهو يقول:

ـ دعيني اقدم لك ساره كليفتون!.

وصافحتها لوسي وهو يتابع التقديم، وقالت:

ـ كيف حالك؟.

وقال ايربي:

ـ لقد عرفت الآن أين رأيتك من قبل، صورك في كل الجرائد، وأنت سوف تمثلين دور البطولة في أحد الأفلام الأميركية.

وابتسمت ساره كليفتون، كاشفة عن أسنان رائعة، وقالت بتواضع:

ـ لقد كنت محظوظة جداً، فقد كان هناك منافسة كبيرة على الدور، ولا أعرف لماذا اختاروني.

فقالت لوسي:

ـ انها النوعية غير المألوفة لديهم.

فتابعت ساره قولها:

ـ بالطبع... للممثلات الانكليزيات قيمة كبيرة في أميركا. وأرجو أن أكون عند حسن ظن الجميع بي، إنها فرصة رائعة... ولكن...

وقال مارك ببرود:

ـ أظن أن التاكسي وصل.

وكانت ذراع ايربي ملتفة حولها وهما يخرجان إلى برودة الشارع، بعد الجو الدافىء، وفتح لها الباب فدخلت إلى السيارة. وعندما وصلت إلى محطة القطار كانت تشعر بصداع أليم، وانتظرت نصف ساعة حتى موعد القطار. تناولت خلالها فنجان قهوة في مقهى المحطة، وشعرت بالسعادة لأنها لم تتناوله في شقة ايربي.

وغطّت بالنوم قليلاً في القطار، وحلمت أحلاماً سريعة مزعجة، وعندما وصلت إلى المنزل، سرّت لعدم وجود أية أخبار مزعجة من المستشفى، فصعدت إلى غرفتها واغتسلت ثم بدّلت ثيابها ومشّطت شعرها إلى الوراء وربطته إلى مؤخرة عنقها.

السيارة الميني القديمة التي كانت تستخدمها للتنقل في الريف كانت متوقفة في أحد الاسطبلات القديمة. لم تكن تهوى غسل السيارات، ولكنها تدريجياً، أحبّت هذا العمل لما فيه من حركة في الرش بالماء ثم التجفيف وبعده التلميع، حتى أنها بدأت تهمهم بلحن وهي تعمل.

عليها الليلة أن تذهب إلى المستشفى لوحدها بالسيارة، وابتسمت لمعرفتها بأن ماثيو سيتوقع قدومها مع مارك، ولكنها ستفكر بعذر، ثم بالتدريج... وهو يستعيد عافيته... سوف تجعله يتقبل فكرة أن مشروع الزواج الذي يرغب به ليس ناجحاً.

وراودتها فكرة أن تتزوج ايربي... لا بد أنه سيكون أباً رائعاً... وإذا تزوج ثانية سوف يرغب في عائلة كبيرة، وعضّت على شفتها بقوة، يجب أن تتوقف عن إقحام ايربي بهذه المشاريع، إنه جذاب ويمكن الاعتماد عليه، وما من شك أنه أحد دعائم شركة هارولد بانهارد ولكنها لم تفكر به من قبل كزوج مستقبلي.

انها تترك المجال لاقتراح ماثيو السخيف يسيطر على أعصابها وهذا أمر

غير ضروري، فالخطوبة زائفة فقط، ولن يحصل زواج. ولكن بعدما حدث الليلة الماضية، هل ستكون آمنة؟.

عندما انتهت من غسل السيارة، اصبحت تلمع بشكل رائع، وأحسّت بالفخر لما صنعته يداها... وأعادت أغراض الغسيل إلى الكاراج، وشاهدت سيارة جدها الجاكوار تقف لامعة في الظل، وشعرت بوخزة ألم: هل سيجلس ماثيو ثانية خلف مقودها يا ترى؟.

كانت متجهة من الردهة نحو السلم لتصعد إلى غرفتها عندما سمعت سيارة مارك تقف أمام المنزل، وأسرعت على السلم صاعدة درجتين في وقت واحد، فهي لا تريد أن تواجهه، على الأقل ليس الآن، السيدة برونسون ستقدم طعام العشاء قبل ذهابهما إلى المستشفى، وخلال تناول الطعام ستحاول إقناعه بأن ما من فائدة سيجنيها من بقائه في منزلها.

ولن تكون لوحدها مع عائلة برونسون، لأن جيرمان سيصل الليلة، وهذا سبب ممتاز آخر كي يعود مارك إلى لندن.

وخلعت الكنزة ودخلت الحمام لتغسل وجهها ويديها، وعندما عادت إلى غرفة نومها وجدت مارك جالساً على حافة سريرها، فصاحت به بغضب:

ـ اخرج من هنا!.

وأخذت الكنزة عن الكرسي ووضعتها على صدرها، فأخذ يحدق بها، بابتسامة ساخرة، وحاجباه مرتفعان باندهاش مصطنع.

ـ ما هذا المظهر الجديد لك؟ أهو ارتداد إلى المراهقة؟.

ـ وماذا يفترض أن أرتدي كي أغسل سيارة؟ أقراط الماس، ولؤلؤ؟ ومرة ثانية اقرع الباب قبل أن تدخل بدل اقتحام الغرفة هكذا!.

ـ لقد قرعت الباب، ولكن صوت المياه لم يمكنك من سماعي. على كلٍ، لماذا كل هذا الاحتشام المفاجيء؟ فذاكرتي لا زالت قوية.

ـ وانا كنت أظن أنني كنت في حلم مزعج، أعتقد أنك تود قول شيء لي، فالأفضل أن تقوله وتخرج من هنا.

ـ إذاً انت تسعين وراء التآمر. حسن جداً، اتركي ايربي غولمان وشأنه، فهذه ليست لعبة ملائمة.

وعلا الدم إلى وجهها:

ـ لست أدري عما تتكلم.

ـ لقد تناولتي الغداء معه اليوم، أتذكرين؟.

ـ ايربي صديق قديم لي.

ـ كم هو محظوظ، لا عجب أنه لم يستطع إبعاد يديه عنك، ولكن هذا لن يفيدك يا لوسي، إنه رجل مهذب، ووراءه زيجة فاشلة تكفيه، وأنت لن تدمري حياته مرة ثانية.

ـ لست أنوي أن أفعل هذا.

وارتجفت من الغضب، فقال لها بسخرية:

ـ لقاؤنا مصادفة كان مدمراً له، ولم يستطع أن يفكر بجلاء، ولا حاجة لأن أكون بارعاً بقراءة الأفكار كي أعرف أن المسكين علق في الفخ، وفي أحد حبائل موهبتك الرائعة... يا جميلتي...

ـ أرجوك لا تدعوني بهذه التسمية.

ـ ولماذا لا؟ انت جميلة... عندما لا تكوني تستخدمين جسدك كسلاح.

ـ وكيف تستخدم الآنسة كليفتون جسدها؟ كهدية مجانية؟.

وتوقفت فوراً جامدة، وتعالى اللون الاحمر إلى وجهها فقالت معتذرة على الفور:

ـ انا آسفة... كلامي هذا لا يمكن تبريره، يبدو أنك تستخرج مني أسوأ الأشياء.

- ويبدو أن هناك الكثير من الأشياء السيئة عندك.

- أظن أن الوقت قد حان لتتوقف عن التدخل في حياتي.

- أتوقف؟ إنني لم أبدأ بعد، وإذا كنت تتكلمين عن التدخل، فالأفضل أن تبقي انفك الجميل خارج مصالح هارولد بانهارد.

- أنا أعمل هناك.

- هناك آراء مختلفة حول هذا الأمر، ولكنني لم أعني عملك الذي تقبضين أجره، بل عنيت نشاطك الإضافي خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية، اتصالك بشقيقك لتحذيره كي يخرج من دائرة النار، مثلاً، دون ذكر غدائك مع ايربي غولمان.

- لقد قلت لك...

- وانا اقول لك... انت تضيعين جهودك يا جميلتي، ايربي غولمان قد اشتريته ودفعت ثمنه، ولن يغيّر تحالفه معي إلى أخيك مهما أغريتيه، وأعتقد أن هذا هو هدفك مما فعلتيه اليوم.

- تستطيع أن تعتقد ما تريد، أنت تعتقد أنك رتبت كل شيء تماماً، أليس كذلك؟ ولكن الوثوق بالنفس كثيراً قد يكون خطراً، ولا أعتقد بأنك واثق أن جيرمان سيجلس دون حراك يراقبك وأنت تسيطر على الشركة؟.

- هذا الولاء الأخوي أصبح مضحكاً، جيرمان لم يسيطر أبداً على هارولد بانهارد في حياته، ولن يتمكن أبداً أن يفعل هذا، لو لم أكن أنا فسيكون هناك آخر، ولكن لن يكون شقيقك أبداً، لقد هدر الكثير من الأموال، وأساء إلى العديد من الناس، واسم العائلة لا يعني شيئاً عندما لا تكون هناك ثقة فيه.

- إذاً، ماذا سيحدث له إذا توليت أنت الأمر؟.

- هذا عائد له يا لوسي، فهو لم يستخدم كل إمكانياته حتى الآن، ومن غير المحتمل أن يفعل، مهما واجه من صدمات، لقد تلقى عدة تحذيرات

في الماضي، من جدك ومن الآخرين، وتجاهل الجميع، لذا ليس لديه اي أمل في المستقبل، ولكنني أكيد أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً مؤذياً.

- فهمت... وماذا سيحدث لي؟.

- لم نقرر شيئاً بعد.

- حقاً؟ إذاً تأكد وابلغني حال أن تعرف، والآن عليك أن تغادر هذا المنزل... سيعود جيرمان إلى هنا الليلة.

- وهل تخافين من مواجهة بيني وبينه؟ لدي انطباع أنك تحبين المواجهات.

- ليس عليّ أن أشرح لك شيئاً. أنت ضيف تحت سقف هذا المنزل سيد ايفانز، ويزداد عدم الترحيب بك، ومن المؤكد أن هذا يكفي.

- أكثر مما يكفي، ولكن ألا تظنين أن ماثيو سيسألك عني، في هذه الظروف؟.

- سأختلق له قصة ترضيه. على كلٍ أنت رجل كثير المشاغل، ولن يتوقع منك البقاء هنا إلى الأبد.

- ولا مع زوجة المستقبل؟.

واحمرّ وجه لوسي غضباً لسخريته:

- هل لنا أن ننسى هذه السخافة أرجوك؟ قد يسلّيك هذا... ولكن...

- إنه لا يسليني في الواقع، كما لا يمكن أن أنساه بسرعة كما تعتقدين إلا إذا كنتِ تريدين أن ينهار ماثيو عند إبلاغه أن الأمر كان خدعة.

- بالطبع لا اريد، ولكن... أوه... كان بالإمكان تجنب كل هذا بسهولة، لماذا لم تكن صادقاً معه عندما ذكر الأمر... كان بإمكانك أن تقول له... حسناً... تقول له إنك مرتبط بساره كليفتون مثلاً؟.

- لم أظن أن الأمر ضروري، وماثيو يعرف بوجودها على كل الأحوال، ولكن لماذا سيهتم بها؟ قد يكون محافظاً، ولكنه مع ذلك واقعي، وساره

ليست مهتمة بالزواج مثلي تماماً، في حال كان هذا يقلقك.

- أنا لست قلقة ولا مهتمة... ولست أهتم بشؤونك الغرامية.

واتسعت ابتسامته وقال:

- ولكن واحدة من شؤوني الغرامية كانت تهمك ليلة أمس.

- وهذا شيء آخر أحب أن أنساه أيضاً.

ودوت ضحكة مارك عالياً:

- هذا لن يكون صعباً، فلم يكن هناك الكثير لتتذكريه.

ليس بالنسبة لك! بالنسبة لك كنت امرأة أخرى، فتاة في متناول يدك، وإذا لم يحدث ما كنت تخطط له فهذا لا يهم أيضاً، لأن هناك الكثير من النساء الراغبات في تقديم العزاء لك بعد سفر ساره كليفتون.

وسبّب لها إدراكها هذا الألم الحاد حتى كادت تصرخ، ثم عادت للسيطرة على نفسها، ما عدا ارتجاف داخلي عميق لم تستطع تفسيره لنفسها، أو انكاره، وقالت وكأن الصوت يصدر عن شخص آخر:

- هذا صحيح... حسناً... الوداع سيد ايڤانز... لقد كان أمراً تربوياً.

- هذا صحيح... ولم ينته بعد.

بعد أن ذهب، جلست لوسي على الأرض، تتأمل أمامها، وكأنها كانت نائمة، واستيقظت لتجد نفسها في أرض غريبة معادية. وخطرت ببالها إمكانية جديدة مرعبة، برزت إلى وعيها، ولم ترغب في سماع ما كانت تقوله لها، ولا حتى أن تعترف بوجودها.

ولكنها ليست حقيقية، لا يمكن أن تكون حقيقية... وغرزت أسنانها في شفتها، ونظرت إلى حيث كان يجلس مارك على السرير. وتذكّرت بشغف جمال مظهره، وسألت نفسها بيأس ما إذا كانت ستراه ثانية، أو ستكون معه في مكان واحد دون أن تتذكر ذلك الدفء الذي شعرت به بين

ذراعيه.

وكان مانيو مقطب الجبين بشكل ظاهر عندما زارته وحيدة تلك الأمسية. وأول سؤال له كان «أين مارك؟» وبدا واضحاً أن كلماتها المنتقاة عن «عمل طارىء في لندن» وعن «استدعاءه في آخر لحظة» لم تخدعه. وأمسكت بيده قائلة:

- ألم أعد أكفيك؟.

- بالطبع... ولكن اللعنة يا فتاة، أريدكما أن تتعرفا على بعضكما أكثر... من الممكن أن لا يكون أمامكما الوقت الكافي. وأريد أن أراكما متزوجين قبل... قبل...

ورفعت يده إلى خدها وفمها يرتجف.

- أرجوك... لا تتكلم هكذا، ستصبح بخير. أنت الآن أفضل حالاً.

ونظر إليها وكأنه لا يراها، وتكلم وكأنما يكلم نفسه:

- كان يجب أن يملأ جيرمان مكانه، ولكنه لا ينفع، أعرف هذا، رغم أني لم أعترف به، والأفضل أن أفعل، ولكن الوقت لم يفت بعد وسوف تستمر سلالة بانهارد، عبر أطفالك أنت ومارك، وسوف يحملون الاسم، والمسؤولية يوماً، وهذا هو الجواب، ولقد حصلت على وعد منه.

واستمعت إليه لوسي بحزن، ولكنه بدا بعد قليل مرتاحاً، وتحدث في مواضيع أخرى بصوت طبيعي، ومضى ما تبقى من وقت دون شيء يذكر.

عندما اقتربت من المنزل لاحظت أن الأنوار مضاءة في داخله، ومن الردهة سمعت صوت التلفزيون عالياً في غرفة الجلوس. ووجدت جيرمان مستلقياً على أحد المقاعد، وبدا متعباً ومنزعجاً، وحياها بتوتر وقال:

- إذاً ها أنت قد عدت... لقد كانت رحلة متعبة لي!.

- ومتى وصلت؟.

- منذ ساعتين... ربما أكثر.

ـ ألم تفكرّ أن تذهب مباشرة إلى المستشفى؟.

ـ بصراحة لا . . . أردت أن أكلمك أولاً، لأعرف ما الذي يجري، فأنت لم توضحي لي شيئاً على الهاتف.

ـ لقد أصيب جدي بنوبة قلبية أخرى، ولكنه يتجاوب مع العلاج بشكل جيد، وهذا كل ما أعرف.

ـ لم أقصد هذا، مع أنني ارتحت لسماع هذه الأخبار الجيدة، ما أنا بحاجة لأعرفه هو ماذا يفعل ذلك السافل ايفانز هنا.

ـ أتمنى أن تكون أعصابك قوية، فأنت ستحتاجها.

عندما أنهت سرد القصة عليه، بدأ يشتم، سيل طويل غير أخلاقي جعلها تحمرّ خجلاً، ثم جلس طويلاً وهو صامت، ممسكاً برأسه بين يديه، وأخيراً نظر إليها وقال:

ـ وماذا سأفعل بحق الجحيم؟.

ـ وما يمكن أن نفعل كلانا؟ سنكون محظوظان لو بقينا في وظيفتنا حتى الأسبوع القادم.

وضحك قائلاً:

ـ هذا لن يهمك بالطبع . . . لقد جرى تدبير أمر زواجك . . . يا إلهي! هل هذا صحيح؟ وها هو مستقبلك أمامك يا حلوتي . . . وعليك أن تسيري نحوه، مع مارك ايفانز حامل الاسهم الرئيسي، ولكنني لا أظن أنك ستمانعين.

ـ لن يحدث هذا . . . لن يحدث أي زواج.

ـ لن يحدث؟ لست واثقاً من هذا . . . وخاصة إذا كان ماثيو يستعيد عافيته، لديه الآن شيء ليعيش من أجله، منتظراً أول حفيد له، لوراثة هارولد بانهارد، عن طريق مارك ايفانز.

فردت عليه بعنف:

ـ أنت غبي . . .

ـ لا . . . بل أنا واقعي . . . أتخلى عن أي شيء لأكون حاضراً زفافك، وسأقول لك شيئاً، لن تستطيعي السيطرة عليه كما فعلتي مع الآخرين.

وشعرت لوسي بالغثيان وهي تردّ عليه.

ـ جيرمان . . . لأجل الله . . . ! نحن في جانب واحد، أتذكر؟.

وهبط على ركبتيه ليجلس إلى جانبها على الأرض ومدّ ذراعه ليحيط كتفيها بحنان ذكرّها بأيام طفولتهما وقال:

ـ أنا آسف لم أكن أعني ما أقول، وأنت تعرفين هذا، ولكن الأمر . . .

وتوقف عن الكلام، وفجأة لاحظت إنه يبدو أكبر عمراً مما هو. ولكنه عاد إلى طبيعته بسرعة وضحك لها ضحكة ساحرة.

ـ ابتهجي يا شقيقتي الطفلة، لن ندع هذا يحدث، سوف أمنع هذا الزواج.

ـ وماذا عن جدي؟ أظن أنك ستذهب لرؤيته غداً . . . ولن تنسى كم هو مريض . . .

ـ لن أنسى . . .

في الصباح، استخدم سيارتها للذهاب إلى المستشفى، ولوّح لها مبتسماً، رغم أنه لم ينم ليلتها، ولا هي كذلك، وما إن دخلت لوسي إلى المنزل حتى بدأ جرس الهاتف يرن، فرفعت السماعة قائلة:

ـ آلو.

وجاءها صوت جولي:

ـ هل رأيتي صحف الصباح؟.

ـ لا . . . لم أرها بعد، لقد عاد جيرمان لتوه ليلة أمس، وجلسنا لساعات طويلة نتحدث، وتناولنا الإفطار، ثم ذهب لرؤية ماثيو، على كل حال، ماذا في الجرائد؟.

- أظن أن التهاني في طريقها إليك... إذا كانت هذه الكلمة مناسبة.

- جولي إذا كان هناك ما يجب عليك قوله لي، أتمنى أن تقوليه دون تعليق.

- حسن جداً... تهنئتي لك، وهل أستطيع أن اكون أشبيتتك؟ هذا إذا كنتِ لوسي بانهارد التي أُعلنت خطوبتها على مارك ايڤانز.

وساد صمت ثقيل، ثم قالت لوسي بصوت أجش:

- لا أصدق!.

- وهل هذه خدعة؟ أنها في كل الصفحات الاجتماعية في الجرائد.

- ولكن لا يمكن... هذا مستحيل... من المفترض أن يكونَ الأمر سراً.

- إذاً الخبر صحيح، انتظري إلى أن يلتقط كاتبي الشائعات الخبر! من الكراهية إلى الحب الحقيقي في أربع وعشرين ساعة كيف توصلتي إلى هذا؟.

- لست واثقة... جولي أنت لا تخدعيني، أليس كذلك؟ هل هذا الإعلان حقاً في الجرائد؟.

- أقسم لك... لوسي... ما الأمر؟ هل أوقعتيه في شباكك؟ مارك ايڤانز ثري وناجح وجذاب مثير، ماذا حدث؟.

- لا شيء... كل شيء على ما يرام، جولي هل يمكن أن اتصل بك لاحقاً؟ أنا تحت ضغط شديد الآن و...

- بالطبع حبيبتي، ولكن أعتقد أن عليك تحضير نفسك للأسوأ قبل أن تتحسن الأمور.

وأعادت لوسي السماعة وهي ترتجف، وسمعت جرس باب المنزل يرن، ثم همهمة أصوات، وفُتح باب المكتبة والتفتت ووجهها ابيض من الشحوب، فقد كانت تتوقع مارك. ولكن الداخل كان السيدة برونسون:

- آنسة بانهارد، بعض الناس وصلوا، معهم آلات تصوير، وقالوا إنهم يريدون مقابلة معك. هل ستقابلينهم؟ أتمنى أن لا تكون لديك أخبار سيئة؟.

وهز لوسي رأسها، وابتسمت ابتسامة مطمئنة:

- لا بأس يا سيدة برونسون... الأمر لا يتعلق بجدي، وأفضّل أن لا أقابلهم، هل تستطيعين أن تبعديهم من هنا... أرجوك.

- حسناً... سأحاول... ولكنني لا أعرف... لا أعرف أبداً...

وخرجت وهي تهز رأسها.

وبمرور ساعات الصباح، بدأت لوسي تشعر بأنها محاصرة فالصحافيون لم يغادروا المكان، بل جلسوا في سياراتهم خارج المنزل، منتظرين ظهورها، وقال لها جيرمان عندما عاد:

- ها هي الشهرة أخيراً يا حلوتي... ها هم في الخارج يحاولون التفكير بعناوين مثيرة عن الزواج الرومانسي.

وأعطاها جريدة فتحها على المقال المطلوب وأضاف:

- هذا من عمل مائيو... كان ككلب له ذنبين هذا الصباح، لقد حاول رشوة الممرضات لاستبدال الماء في الابريق بشيء من الشراب... وماذا عن العريس... هل يحاول الابتعاد عن الأضواء؟ لا أستطيع لومه، فأحد الصحافيين سبق الجميع وأجرى مقابلة مع ساره كليفتون. واثنتين من صديقاته القديمات، وستكونين مسرورة إذا عرفتي أنهن يتمنين لك الحظ السعيد، فهن لا شك يعتقدن أنك ستحتاجين إليه.

واتقدت عينا لوسي بالغضب:

- كيف يستطيع مائيو فعل هذا؟.

ورمى جيرمان نفسه على كرسي وقال وهو يشير إلى الصينية بجانبه:

- إنه سهل جداً عليه... هل هذه قهوة، صبي لي فنجاناً، أحتاج إلى

ما يعيد إليّ توازني. فسرور ماثيو بنجاح مشروعه لم يمنعه من مهاجمتي، لقد ظننت أنه مريض.

وتقبل منها فنجان القهوة، ونظر إليها بسرعة وتابع:

- انظري يا حبيبتي، أظن أنك قللتي من قدر تصميم ماثيو على هذا الأمر، بالنسبة لك يمكن أن يكون قد ابتدأ بشكل مزحة، ولكن قد ينتهي إلى أن يصبح حقيقياً.

- لا... لا يمكن... لا أستطيع...

- أتعلمين... لو أنني لا أعرف أن الأمر مختلف، لظننت أنه يعجبك.

وتعالى الدم إلى وجهها:

- أنت سخيف!.

- عجيب... لقد بدأت أظن أن عليك المضي في الخطبة.

- ولكنك لست متورطاً بشكل شخصي... والسيد ايڤانز ليس عنده اهتمام بالزواج أكثر مني.

- لا؟... إذاً لماذا ترك كل هذا يحدث، على كلٍ لم يكن مضطراً للخضوع لأي ضغط من ماثيو، وكان بمقدوره إقناعه بالتخلي عن الفكرة، ولكنه لم يفعل.

- أظنه يهتم بأمر ماثيو، ويريد أن يستعيد نشاطه، فلماذا لا يوافق؟ الخطبة يمكن أن تفسخ في أي وقت.

- وكذلك الزواج.

- ليس بسهولة... ولكنني لا أرى أساساً لهذا النقاش بيننا، هل تريد أن تراني متزوجة من مارك ايڤانز؟.

وجلس جيرمان بضع لحظات جامداً وهو يحدق بالفراغ أمامه ثم قال:

- لا... إنه على الأرجح آخر شخص في الدنيا قد أختاره صهراً لي في ظروف عادية، ولكن الظروف لم تعد عادية، فقد كان جدي صريحاً

جداً وبقساوة معي الآن، وحياتي في الشركة إذا استمرت، ستكون مختلفة من الآن وصاعداً.

وتطلع بها مباشرة، وتابع:

- لقد أصبح مارك ايڤانز في مقعد القيادة، وعليّ أن أتقبل هذا، على الأقل في الوقت الراهن، وإذا كان سيصبح الرئيس وأعمل أنا تحت إمرته، فسيكون من المفيد أن أكون قريباً له عبر الزواج، ومن غير المحتمل أن يسبّب لزوجته الحزن برمي شقيقها الوحيد إلى الدنيا القاسية الباردة.

- لو كنت مكانك لما اعتمدت على هذا، من المؤسف أن ليس هناك درجة استاذ في الأنانية الشخصية يا جيرمان، وإلا لكنت على رأس لائحة المؤهلين لها.

- ولكنني أفكر بمصلحتك أيضاً، يا شقيقتي الطفلة، فماذا سيحدث لك في غمار هذا التغيير؟ هل فكرتي في هذا؟ أنت لست مؤهلة بشكلٍ كافٍ، وحتى لو كنتِ، ستحدث مشاكل عندما تفسخ خطوبتك مع مارك، مهما كانت زائفة... فمن سيقوم بالفسخ سيبدو الآخر أمامه أحمقاً، وهذا سيسبب المشاكل في الشركة.

وارتشفت قليلاً من قهوتها، ثم قالت:

- هناك حلول أخرى بالطبع، أستطيع أن أتزوج شخصاً آخر.

ونظر إليها جيرمان باعجاب:

- عليّ أن أتركك وأسافر دائماً! فقد تركتك عانس متدينة لأعود فأجدك وأنت تخرجين المرشحين للزواج من خزانتك، من هو هذا الرجل المحظوظ؟.

- هناك ايربي...

- غولمان؟.

وضحك ضحكة مدوية وتابع:

- ذلك... الراهب!.

- إنه ليس كذلك، لم أذكر لك هذا، ولكنني تغديت معه بالأمس، وهناك إمكانية...

- إنه يهواك لا شك، لقد كانت نظرته إليك دائماً بنسبة معكوسة من كراهيته لي، ولكن بعد إعلان اليوم، سوف يقنع عزيزنا ايربي بعبادتك من بعيد، إنه سيعمل لمارك ايڤانز ابتداءً من الأسبوع القادم، وسرقة امرأته ليست على جدول أعماله.

- أنا لست امرأة مارك ايڤانز!.

وارتجفت من جديد فقال لها جيرمان:

- بالنسبة لايربي أنت امرأة مارك، إنه رجل متمسك بالشركة بكل قوة، ولهذا فهو دائماً كان ذا قيمة، وأنا لا أفكر فيه كصهر، على الأقل ليس كمارك ايڤانز.

- سأتذكر هذا دوماً... هل أقدّم لك لائحة بالأسماء المناسبة، كي تخضع لموافقتك؟.

ووقفت بغضب دافعة كرسيها إلى الوراء.

- سأتصل بايڤانز وأطلب منه نفي إعلان الخطوبة، أو أي شيء ممكن فعله، ولن أبالي به لو بدا أحمقاً.

- ولكنه سيبالي... وكذلك مائيو.

وبردت بعض من النار فيها وقالت:

- كنت ناسية هذا.

- ولكن اتصلي به على كل حال... فأنا أتوقع أن يكون المراسلون مرابطون على بابه أيضاً، وقد يكون مهماً أن نعرف ماذا قال لهم، وربما تتفقان على تصريح موحد، إلا إذا كنتِ تفضلين الانتظار حتى صدور صحف الغد، لتكتشفي موعد الزفاف.

- لن يجرؤ على هذا.

الاتصال بشركة ايڤانز العالمية، لم يكن صعباً، وطلبت مكتب مارك واعطت اسمها، وبدا على فتاة الهاتف الذهول، وأوصلتها به رأساً، وجاءها صوت يقول:

- سكرتيرة السيدة ايڤانز.

- هل السيد ايڤانز موجود؟ انا لوسي بانهارد.

- أوه... آنسة بانهارد أنا السيدة بروس، لقد كنت سعيدة جداً عندما طلب مني السيد ايڤانز نشر إعلان خطوبتكما، أنا اتمنى لكما أطيب الأمنيات!.

- شكراً لك، هل لي أن أتحدث إليه؟ أرجوك.

- أوه يا عزيزتي... إنه ليس هنا، لقد قال لنا مساء أمس انه سيغيب اليوم بطوله... هل جربتي الاتصال به في شقته؟.

- لا... أعتقد أن الرقم ليس متصلاً معكم.

- بالطبع... ولكنك طبعاً تعرفين...

- أجل... إنه مكتوب في مكان ما عندي... ولكن كل شيء غير مرتب هنا، لا أستطيع إيجاده، هل تذكّريني به...

- بالطبع...

وأملت عليها الرقم فدونته لوسي، وقالت لها السكرتيرة:

- وأريدك أن تعرفي آنسة بانهارد إذا كان هناك أي شيء ممكن أن أفعله لك، ما عليك إلا أن تطلبي... فالجميع يتطلع شوقاً لرؤيتك عندنا.

وخفضت صوتها وكأنها تقول سراً:

- السيد ايڤانز يحضّر لحفلة استقبال على شرفك، هل تعلمين هذا؟.

- أجل... السيد ايڤانز لديه مفاجآت سارة كثيرة، شكراً لك على اتصالك.

وببطء وعلى مضض، طلبت الرقم، واستمعت إلى رنين الهاتف، وقلبها يضج عالياً وهي تنتظر الرد، ومضت فترة طويلة، وأخيراً سمعت صوت التكتكة التي تنتظرها، وأحسّت بجفاف فمها، فمررت لسانها فوق شفتيها، وجاءها صوت ساره كليفتون يقول بخشونة:

- آلو... من المتكلم؟.

ثم بإلحاح أكثر:

- من المتكلم أرجوك؟.

وأعادت لوسي السماعة مكانها، وشعرت بآلام تمزقها، وتمنت لو تستطيع الصراخ بصوت مرتفع، وعلمت ما بها... إنها تعلم منذ البداية، مع أن هذا الشعور غريب عليها... إنها بكل مرارة وعاطفة... تغار.

والجانب الآخر لهذه العملة... غير المرغوب فيه ولا يمكن الاعتراف به... هو الحب!.

●●●

٥ - قلبها الخائن

كان أمامها وقت طويل للتفكير، من بداية التاريخ لم يكن هناك يوم أطول من هذا، وحاول المراسلون أكثر من مرة إقناعها بالتحدث إليهم، والوقوف أمام آلات التصوير، ولكنهم في النهاية ذهبوا، وأسفت لوسي تقريباً لذهابهم فوجودهم على الأقل كان يمنحها سبباً للتوتر.

ونظر إليها جيرمان متفحصاً عندما عادت من المكتبة وقالت له:

- إنه خارج مكتبه.

وخرج جيرمان فيما بعد، ليزور بعض المسؤولين المحليين، ورفضت أن ترافقه.

وجلست وحيدة، محاولة أن تتكيف مع ما حدث، مع أنها تكاد لا تصدقه، هل يمكن أن يحدث هذا... هل يمكن أن تتغير كل حياتها في بضع ساعات؟ كانت تتوقع دائماً أن تتعلم كيف تحب، وأن تشعر به ينمو رغم إرادتها في برهة معينة من الزمن، ولكن لم يحذّرها أحد أنه يمكن أن يزهر بداخلها بهذه السرعة، وبشعور غامر، ومع ذلك، فمن اللحظة الأولى، كانت تحس بالصدمة، وبانجذاب لا إرادي نحو مارك وهذا ما ازعجها، ودفعها إلى التصرف على غير عادتها عشرات المرات وأكثر. لقد كانت تقاوم منذ البداية، ولكن خصمها كان نفسها، وتأوهت بصوت

WWW.REWITY.COM

مرتفع، كم هي في ورطة كبيرة، إنها تحب الرجل الذي يكرهها علناً، وكأنما القدر قد انقلب عليها فجأة بأسنانه الحادة وبراثنه ليمزّقها.

واتصل بها جيرمان ليقول لها إنه التقى صديقاً قديماً، وانه سيذهب ليلعب معه السكواش، فارتدت معطفاً وخرجت تتنزه بين الحقول، البيت الذي كان دوماً ملاذاً لها بدا كعلبة، جدرانه تطبق عليها، إنها الآن في الهواء الطلق تستطيع التنفس بحرية أكثر، ولكن الضباب الخفيف الذي كان ينتشر لم يرح أعصابها.

لو أن ماثيو عاش، سيكون هناك ضغط متزايد من جهته لإتمام ذلك الزواج بينها وبين مارك ومع أنه قد يجد في النهاية وسيلة لخلاص كليهما، إلا أن الأمر سيكون صعباً ومحرجاً.

وإذا مات ماثيو، وهذا أمر عليها أن تواجهه، فسوف تُحل مشكلة الخطوبة على الفور... ولكن مهما حدث، ستواجه كثيراً من الألم.

كان عليها أن تدرك أن مارك وساره سيكونان معاً، وإذا كانت ساره ستسافر إلى أميركا قريباً، فمن الواضح أن مارك سيغتنم أية فرصة ليكون معها. وتساءلت إذا كانت ساره تعرف حقيقة الخطوبة المزعومة، وتذكرت التعبير الذي ظهر في عينيها عندما التقيا ذلك اليوم في المطعم، كذلك المقابلة الصحفية التي ذكرها جيرمان.

كيف كان يمكن أن تشعر لو أنها استسلمت له تلك الليلة، ثم راقبته يعود إلى عشيقته في اليوم التالي؟ أن تراه يتخلى عنها بعد ذلك، أمر لا يحتمل.

ووقفت جامدة في منتصف الحقل، ونظرت إلى السماء المكفهرة، التي تعتم بالتدريج وصرخت بوحشية:

ـ أيها الجحيم!.

وركضت إلى أقرب بوابة للحقل وخرجت نحو الطريق، لقد آن لها أن

تعود إلى المنزل، فجيرمان لا بد أنه يتساءل الآن عن مكان وجودها، ولماذا تأخرت عن موعد زيارة المستشفى، وماثيو سوف يقلق.

وسمعت صوت محرك سيارة يقترب، فتنحت عن الطريق لتمشي فوق طريق ترابية، دون أن ترفع رأسها إلى أن لاحظت أن السيارة مألوفة لها، وأنها كانت تخفف من سيرها، ثم تتوقف، وخرج مارك من السيارة ليقف ويخلع قفازات القيادة منتظراً وصولها إليه، ثم سألها:

ـ هل أنت عائدة إلى المنزل؟.

ـ أفضل أن أسير.

وتجهم وجهه فوراً:

ـ وأنا أفضل أن تعودي معي... اركبي.

وفتح لها باب السيارة، وصعدت إليها متوترة الأعصاب فقال لها:

ـ ألم تلاحظي أن السماء بدأت تمطر؟.

ـ المطر لا يزعجني كثيراً.

ومد يده داخل السيارة وأعطاها معطفاً من الفرو:

ـ خذي هذا، ولفّي نفسك به.

ـ أنا مرتاحة هكذا...

ـ خذيه... أم أنك تخافين من أن تتلوثي؟.

ووضعت المعطف حول كتفيها، وجلست تنظر أمامها، فقال:

ـ تبدين مندهشة لرؤيتي.

ـ بالفعل... لقد طلبت منك أن لا تعود.

ـ أنت لم تطلبي شيئاً يا جميلتي، لقد قلتي لي وهذا أمر مختلف تماماً، لقد عدت أساساً لأعرف ماذا تريدين.

ـ ماذا اريد؟.

ـ أجل... لقد قالت لي سكرتيرتي إنك اتصلتي بي، وأعتقد أن

الاتصال الغامض بشقتي كان منك ايضاً، كان عليك الانتظار، لقد كنت استحم.

وعضت على شفتها كارهة الصورة الحميمة التي رسمتها كلماته.

- لم يكن هناك داع لهذه الرحلة الخاصة حقاً، أردت فقط أن اسألك... لماذا نشرت إعلان الخطوبة، دون أن تستشيرني.

- لقد فعلت هذا لأن ماثيو أصرّ. أظن أنه يشك في أننا متفقان، أما بالنسبة لاستشارتك، فلم يكن هناك من داعٍ لأنني أعرف رأيك، واعتقدت أنني على صواب، هل كنت تتصلين بي لتهنئتي على هذه المبادرة؟.

- لا... هل تعلم أن العديد من الصحافيين كانوا متجمعين عند باب المنزل هذا الصباح؟.

- كنت اتوقع هذا، وماذا قلتي لهم؟.

- لم أقل شيئاً.

فضحك وقال:

- أنت تتعلمين بسرعة يا جميلتي.

- ليس باختياري.

- أعصابك ثائرة قليلاً يا عزيزتي، عليّ أن أفكر بشيء يجعلك تشعرين بأنك عروس حقيقية.

وأدارت وجهها عنه، حتى لا يكتشف، في إحدى نظراته السريعة لها، أي تعبير في وجهها تفضّل أن يبقى مختفياً، وقالت:

- أنت بالتأكيد لم تأتي كل هذه المسافة لتقول هذا فقط.

- لا... هذا صحيح.

وخفف من سرعة السيارة ليوقفها إلى جانب الطريق، وأجفلت لوسي... فتنهد وقال:

- هناك نظرة رعب على وجهك آنسة بانهارد... استرخي قليلاً... لقد توقفت عن المغازلة في السيارة منذ زمن بعيد.

- أنا لست مهتمة بعاداتك... قل ما أتيت لأجله، ثم عدّ إلى لندن.

وصدر عنه صوت ينم عن الغضب وقلة الصبر وقال:

- حسناً جداً يا لوسي، سنلعب على طريقتك، اعطيني يدك.

فنظرت إليه، وشفتاها مفتوحتان بذهول، وبعد لحظة مد يدّه وجذب يدها إليه... ولمعت الماسة الكبيرة في الخاتم كشعلة محاطة بالجليد، وهو يضعه في إصبعها، فصرخت بسرعة محاولة تخليص يدها منه:

- لا...

- بلى... ماثيو يتوقع أن يراه في يدك.

- طبعاً، كما توقع رؤية الإعلان في الصحف، ولكن ماذا عني؟ ألا يفترض أن يكون لي أي رأي؟.

وكاد صوتها يختنق بالبكاء، ولكنها أضافت بوحشية:

- سوف تتذكر أن تتصل بماثيو لتهنئته، والأفضل قبل شهر العسل.

- لقد فهمنا أنك لا تحبين الماس، ولكن ماذا بشأن شهر العسل؟.

- نظرياً لا شيء، أنا متأكدة أن ما من زواج يخلو من شهر عسل، ولكنني اعتقد أنني لن اتحمل حتى ذلك الوقت.

ونظرت إليه وعيناها الخضراوان تتسعان، وقالت:

- أرجوك... لا تغصبني على وضع هذا الخاتم في اصبعي!.

- وهل تفضّلين الزمرد؟ لقد فكرّت بهذا.

- لا... لا أريد أي نوع من الخواتم!.

فهز كتفيه وقال:

- ولكن هذا مجرد تقليد سائد. ولم أكن أعرف أنه سيسيء إلى مبادئك المتحررة.

كان يتعمد أن يسيء فهمها. . . وتنفست عميقاً:

- إنه تقليد يقوم به اثنان مخطوبان لبعضهما جدياً، ولكننا لسنا كذلك، نحن نتظاهر بالخطوبة لتفي ببعض واجباتك التي تدين بها لجدي، وأظن أن هذا الخاتم يدفع بهذا التظاهر إلى درجة بعيدة.

ونظر إليها بسخرية:

- هذه كلمات جميلة، هل كنتِ تحفظينها عن ظهر قلب!.

- ما إذا كنت أحفظها أم لا، فأنا أعني كل كلمة مما قلت، وهذا هو المهم.

- ليس تماماً، فهناك مائيو، أعجبك هذا أم لا، لقد بدأنا هذه القصة لأجله، وسوف نستمر فيها.

- وإلى متى سنستمر؟.

- إلى أن تفي بالغرض، سآخذك إلى المستشفى هذا المساء، وعندما يرى الخاتم سيصّدق بأنني بدأت أهواك، وسيكون راضياً، ويمكنك تمثيل دور من تطير فرحاً.

ونظرت لوسي إلى الخاتم اللامع البارد في يدها:

- بالطبع. . . ولا عجب أنني انزلقت فوق الجليد.

- لقد فهمت الفكرة يا جميلتي.

وأدار محرك السيارة ثانية وأكمل الطريق، كان جيرمان يهبط درجات السلم بينما كانت لوسي تدخل الردهة، ومارك خلفها تماماً، فتوقفت عندما رأته، وتوقف مارك ايضاً، وابتسم جيرمان:

- مرحباً أيها العشاق. . .

ونظر إلى الخاتم في أصبعها، وارتفع حاجباه:

- يا إلهي. . . لم أكن أعرف أنهم باعوا جواهر التاج!.

فابتسمت له لوسي وقالت:

- احضر لمارك بعض الشراب. وسأخبر السيدة برونسون أن لدينا ضيفاً على العشاء.

ونفّذت ما قالته، ثم صعدت إلى غرفتها ووقفت للحظة طويلة أمام المرآة تتفحص نفسها، ثم دخلت الحمام، فاستحمت وأراحها الماء الساخن مبعداً البرد عن أطرافها، وكان لديها فستان مفضل، أسود قاتم من قماش صوفي ناعم بأكمام طويلة، وبالمقارنة مع سواده بدت بشرتها كاللؤلؤ، ووضعت القرط الماسي الجميل الذي أهداه لها مائيو في عيد ميلادها الواحد والعشرين.

كان التوتر في الجو أثقل من الخصام الجسدي عندما دخلت غرفة الجلوس، مع أن كل شيء كان هادئاً، وقال لها جيرمان وهو يبتسم:

- كوب من الليموناضة يا عزيزتي؟.

فابتسمت شاكرة، وجلست على مقعد مرتفع الظهر، ووضعت ساقاً فوق ساق بكل أناقة، ولم يفتها ملاحظة التعبير المتوتر على وجه مارك وهو ينظر إليها، والبريق الساخن في عينيه، وشعرت برضى داخلي، لقد قال لها أن تلعب دورها، وستفعل، وسألت بخفة وهي تأخذ الكوب من جيرمان:

- عما كنتما تتحدثان؟.

فضحك جيرمان وأجاب:

- عن هارولد بانهارد ودوري في سقوطها، لا بد أن هذا يومي الخاص لسماع الحقائق. . . عجيب أن قراءة برجي لم يخبرني بهذا عند الصباح.

ولاحظت أن مارك ينظر إليه بنفاذ صبر، وتنهدت في داخلها، جيرمان عادة يختار أسوأ اللحظات ليكون غريب الأطوار، فقالت بسرعة:

- كيف كانت لعبة السكواش؟.

- لقد فاز عليّ صديقي بسهولة. . . لقد أصبح بارعاً ومستعداً منذ آخر

مرة لعبنا فيها معاً وعليّ أن أقول لك، بالمناسبة إنك حطمتي قلبه.

فردّت عليه بقلق:

ـ لقد ظننت أنه سيتغلب على هذا الأمر بسرعة.

ـ كذلك وصلتك مخابرة هاتفية، من ايربي غولمان، وهو ليس سعيداً أيضاً، ولكن ربما هذا بسبب أنه كان يتحدث معي.

ونظرت إليه لوسي نظرة جافة:

ـ ربما... هل ترك لي رسالة، هل طلب أن أعاود الاتصال به؟.

ـ لا... كما قلت لك بدا منزعجاً، أراد أن يعرف إذا كان إعلان اليوم عن الخطبة ليس إلا خدعة فقط، ثم أقفل الخط، لقد شعرت بالأسف عليه.

ـ أوه يا عزيزي.

ونظرت خلسة إلى مارك، كان فمه مشدوداً بحزن، وعيناه ضيقتان ثم قالت:

ـ الأفضل أن أتصل به...

ـ لا أعتقد أن عليك الاتصال به.

وجاءها صوت مارك هادئاً، ولكن لهجته حذّرتها من أن تتحداه، وبأنها قد أصابت منه ما يكفي من أذى، وشعرت بالزهو.

ونقل جيرمان نظره من وجه مارك المتجهم إلى التعبير المتمرد على وجهها، ووميض شرير من السعادة يتراقص في عينيه، وقال بصوت خفيض:

ـ حسناً... حسناً، هل بدأ الخلاف؟.

ونظر إلى لوسي نظرة متآمرة:

ـ آسف يا حلوتي... ربما كان يجب أن أنتظر إلى أن نصبح لوحدنا.

وفكرت في نفسها: جيرمان، لصالحنا معاً، إذا لم يكن لصالحي

فقط، هذا ليس وقتاً مثالياً لتكون خبيثاً...

إنه يحاول بذر الشقاق، وهي تعرف هذا، سيضّر بايربي غولمان والآخرين. وتمنت لو تدخل السيدة برونسون الآن لتدعوهم إلى العشاء، وحمدت الله عند سماع وقع خطواتها في الردهة وكأن الله استجاب لدعواتها الصامتة.

وكانت على وشك مغادرة الغرفة عقب خروج جيرمان عندما أمسك مارك بذراعها، فأجفلت لضغط أصابعه القوية عليها وقالت:

ـ وما الأمر الآن؟.

وردّ عليها ووجهه يبدو عليه الشر:

ـ لقد عنيت ما قلته لك، اتركي غولمان وشأنه ايتها السافلة! فالأمور في الشركة ستكون سيئة بما فيه الكفاية دون إغواء نائبي في الإدارة بأنني سرقت الفتاة التي يحبها.

ـ ولكنه لا يحبني...

ـ ولكن لن يمر الأمر دون محاولة منك، إذا كان ما شاهدته في المطعم مثال على ما ستفعلينه.

وحاولت جذب ذراعها منه ولكنها فشلت، فتطلعت إليه وصدرها يعلو ويهبط بسرعة:

ـ وماذا تريدني أن أقول له... إنني لا أريده حتى ولو قدّم نفسه لي هدية؟.

ـ ليس عليك أن تقولي له شيئاً، سأتعامل معه بنفسي.

ـ يا إلهي... أي إنسان قد يظن بأنك تغار يا سيد ايڤانز!.

ـ وسيكون مخطئاً آنسة بانهارد، بكل بساطة أنا لا أثق بك، هذا كل شيء.

وسارت أمامه ورأسها مرفوع، نحو غرفة الطعام، إنها تعرف بأنها هي

التي أثارته ليقول هذا، ومع ذلك فقد آلمها كلامه.

عند انتهاء العشاء، اعتذر جيرمان عن الذهاب معهما إلى المستشفى. وذهبا بالسيارة إلى المستشفى بصمت، وعندما أوقف السيارة في الموقف مدّت يدها لتفتح الباب فقال لها:

- لحظة من فضلك، قبل أن ندخل المستشفى، أخبريني ما الأمر؟.

- لست أفهمك؟.

- ألم تفهمي؟ خلال مدة تعارفنا القصيرة، راقبتك وأنت تتحولين من فتاة لعوب إلى فتاة مدرسة، ثم عدت ثانية لتلاعبك... لماذا؟.

- أنت أردتني أن أتلاعب، ولن تستطيع التذمر إذا اخترت أن أفعل هذا على طريقتي.

- لم أكن أفكر بالتذمر، لذا فلندخل إلى قلب الموضوع بصراحة...

وجذبها بين ذراعيه بحيث لم تستطع الحراك... في البداية قاومته، تضربه بيديها بقوة على صدره وكتفيه، ثم غمرتها مشاعر داخلية حلوة، فتلاشت مقاومتها، ولكنها دفعته عنها بفجائية صارمة، وأصبحت حرة، فقال بخشونة:

- هذا قد يضيف شيئاً من الإقناع لتمثيلك.

ونزلا من السيارة، وسارا وهو ممسك بذراعها، وكان عليها أن تركض تقريباً لتوازي سرعة خطواته... فقالت له:

- مارك... انتظر!... لا أستطيع الدخول وأنا في هذا المنظر.

- وهل تظنين أن مائيو سيصدم؟ لن يحدث هذا، سوف يكون مسروراً وهذا سيثبت له كم نحن لائقان لبعضنا.

وردّت عليه بخشونة:

- وهل تظن أن مائيو سيشكرك على إهانتي؟.

- وهل كان الأمر هكذا؟ قولي له إنني أجبرتك إذا كان هذا يريحك يا

جميلتي، واظهري له الخدوش والكدمات التي سببتها لك وانت تدافعين عن نفسك.

- أيها السافل!.

في الوقت الذي وصلا فيه إلى جناح مائيو، كانت قد استعادت بعضاً من سيطرتها على نفسها، وكان ينظر إلى الباب متلهفاً، وظهرت ابتسامة عريضة على وجهه عندما شاهدهما، فانحنت لوسي وقبّلته:

- تبدو رائعاً!.

- وأنت أيضاً.

وأمسك بيدها ورفعها إليه، وعيناه مليئتان بالدفء والرضى، وتأمل بالخاتم، ثم قال اخيراً:

- إنه اختيار موفق، الماسة لفتاتي الماسية.

وتسلل اللون الوردي إلى وجنتيّ لوسي، ولم تجرؤ على النظر إلى مارك لترى ردة فعله على قول جدها، وسألها مائيو:

- وأين حفيدي الفاسد الآن؟.

- في المنزل... لقد اكتفى من التآمر ليوم واحد.

- كان عليّ أن أفعل هذا منذ سنوات، فلربما كان اصطلح أمره، ولكن ربما لم يفت الوقت بعد... هل حددتم موعد الزفاف؟.

فردّ عليه مارك.

- إننا في انتظارك... فمن الطبيعي أن ترغب لوسي في وجودك، كي تقدمها لي، لقد خططنا لاحتفال هادىء عن قصد لنستطيع تنظيمه حال أن تقول كلمتك.

لعدة أسباب، كان هذا هو الرد المناسب، ولكن كلماته جعلت دمها يتجمد، لأنها أدركت أن مائيو قد لا تتحسن صحته، وأن مارك يعرف هذا، وبقيت صامتة لما تبقى من وقت الزيارة التي قضاها الرجلان وهما

يتحدثان عن اجتماع الأسبوع المقبل.

وفي طريقهما إلى المصعد، نظر إليها مارك متعجباً:

ـ لما كل هذا الصمت؟ هل اغضبك كلامي مجدداً؟.

ـ لا... لقد كان أفضل شيء يقال، وأعلم لماذا قلت هذا، ولكن من الصعب تقبّل الأمر.

ـ أصدقك...

وبينما كان المصعد يهبط بهما قالت وكأنها تكلّم نفسها:

ـ ولكنه يبدو أفضل بكثير.

ـ هذا لا يعني دائماً الشيء الكثير، ظننت أنك تعرفين هذا.

ـ أجل... أعتقد أنني أعرف.

ولاحظته يتحرك، وأدركت أنه سيعانقها فأجفلت وقالت بسرعة:

ـ لا تلمسني.

وكانت يداه قد أصبحتا على كتفيها، فأغمضت عينيها وقالت بضعف:

ـ قلت لك دعني وشأني... لن يتأثر هو الآن لو أنك جعلتني أبدو محرجة، على الأقل أنا.

وساد صمت ثقيل بينهما وهما عائدان إلى المنزل، كان قد قال خلال العشاء إنه سيعود إلى لندن الليلة، وتوقعت أن يذهب فوراً إلى شقته حيث تنتظره ساره.

ولكنه كان وراءها تماماً عندما دخلت المنزل، وحيّتهما السيدة برونسون وأخبرتهما أن جيرمان قد خرج. وعرضت عليهما بعض المرطبات، فقال مارك:

ـ بعض القهوة لو سمحتي... والأفضل أن تأتي بها إلى غرفة الجلوس.

وردّت لوسي:

ـ أنا لا أريد القهوة، سأذهب فوراً إلى غرفتي... أشعر بصداع.

ـ أنت لا تحسنين التصرف يا عزيزتي... النساء عادة يوفرن هذه الحجّة لما بعد الزفاف، بإمكانك مراقبتي وأنا أشرب قهوتي، إذا كنتِ حقاً لا ترغبين بها، ونستطيع أن نتحدث. أظن الوقت قد حان لتوضيح بعض الأمور.

ـ لقد سمعت منك كل ما تريد قوله، ولا حاجة لنا لنعيد نفس الكلام مراراً.

ـ حسناً... ولكنك لم تسمعي هذا بعد. أظن أنه حان الوقت ليأخذ مشروعنا اتجاهاً جديداً يا لوسي.

ـ ماذا تعني؟.

ـ أعني أن علينا أن نتخلى عن التظاهر وأن نفعل ما يريده مايو بالضبط، وأن نتزوج.

وأحسّت بجفاف فمها فأجابت:

ـ أنت مجنون!.

ـ إنه وضع مجنون، قد لا نكون نحب الوضع الذي وجدنا أنفسنا فيه، ولكن قد يكون لمايو وجهة نظر، وأنا تعبت من العيش لوحدي، ومن إقناع زوجات المديرين الآخرين في الشركة بلعب دور المضيفات لي، لقد حان لي أن أتزوج، وأن يكون لي مكان أدعوه منزلي، وأنت معتادة على هذا النمط من الحياة، ويمكنك النجاح فيه.

ـ صحيح... ولكن النساء عادة لا يتزوجن لمجرد أنهن ناجحات في استقبال الضيوف.

ـ وماذا تريدين؟ تأمين مالي لك؟ درجة معينة من الكفاية العاطفية؟ أظن أن بإمكاني أن أعدك بهذا.

ـ يبدو الأمر متعمداً.

- إنه نوع من الاتفاق. ماثيو قد لا تتحسن صحته، وقد لا ننجح في النهاية معاً.

- أنت لا تصدق هذا؟.

- لنقل إنني مستعد للمخاطرة... وما هو رأيك؟.

- لا استطيع... أنا آسفة.

وحدّق بها مارك طويلاً، ثم قال:

- لندع المسألة مفتوحة، أيمكننا ذلك؟ سأعطيك وقتاً للتفكير... لدي عمل أقوم به، في نهاية هذا الأسبوع، لذا لن أجيء إلى هنا... وأعتقد أنك ستأتين إلى المكتب يوم الاثنين.

- أجل... بالطبع.

فردّ عليها بحزم:

- في الماضي لم يكن هناك بالطبع، ربما أنت تقترحين أن تصبحي شخصية جديدة إضافة إلى أخيك.

وأشاحت بنظرها عنه وهي تقول:

- قهوتك وصلت، ربما ستعذرني الآن.

صداعها كان حقيقياً هذه المرة، وكأنه رباط حديدي حول رأسها، وهز مارك كتفيه:

- إذا كان هذا ما تريدينه.

وتقدم نحوها بعد أن وقفت، ووضع يده تحت ذقنها، ورفع وجهها إليه، عيناه الرماديتان باردتان وتتفحصانها، وأحست بأنفاسها تكاد تتوقف، وارتعدت لمعرفتها بأنه سيعانقها ثانية، لأنه لو فعل، ستضيع بين ذراعيه، وتكون مستعدة لأن تعده بأي شيء... حتى ترتيبات زواج لا حب فيه.

ولكن السيدة برونسون كانت قد وصلت تحمل صينية القهوة، وهبطت يد مارك عنها، مما مكنها من الخروج، ووجدت بعض أقراص الاسبرين

في خزانة الحمام فابتلعت قرصين، وجلست منتظرة أن تفعل الأقراص مفعولها، وهي تتوق إلى النوم الذي سيريحها.

لقد قال إنه سيعطيها وقتاً للتفكير... وهي تعرف ماذا يعني هذا... دقائق ستبدو لها ساعات، وساعات ستبدو لها أيام، وهي تعذّب نفسها لتقرر.

ولن يحبها، ولكنه اعترف بأنها ستكون مفيدة لحياته، إنه يرغب بها. كل مرة يلمسها كانت تشعر بحساسية فائقة تتعالى في داخلها وهي تتجاوب مع هذه اللمسة.

سيكون الأمر سهلاً، من السهل الانجراف مع التيار، وأن تقبل بالشروط التي عرضها عليها.

وارتجف فمها فجأة، ورمت بنفسها إلى الوراء فوق الفراش، وهي تتأوه.

الأمر سهل جداً... وفي نفس الوقت... إنه كارثة.

●●●

٦ ـ لن تستطيعي خداعي!

لاحظت لوسي أن جواً مختلفاً كان يسود شركة هارولد بانهارد منذ أن دخلت المبنى. وكأنما مولد جديد وقوي قد أدير وهو يشحن كل زاوية في الشركة بالطاقة.

وأدركت لوسي بمرارة أن مصدر هذه القوة الجديد ليس صعباً معرفته، المكان كله كان يضج بالحيوية على المستوى البشري أيضاً، وعندما دخلت إلى غرفة ملابس السيدات توقفت الضحكات المرتفعة والحديث المتبادل بين السكرتيرات المتجمعات هناك، وكأنما أحدهم قد نفخ على شمعة مضاءة فأطفأها، وكان هناك توهج زائد فيهن هذا الصباح، فقد بدا واضحاً أنهن جميعاً قد اهتممن أكثر من المعتاد بمظهرهن، وعبقت ما لا يقل عن نصف دزينة من العطور المختلفة منهن.

وكأنما ذكّرهن وصولها أن اهتمامهن بزينتهن كان تضييعاً للوقت، وكادت تصيح بهن: انظرن، أنتن تعتقدن بأنني الرابحة بينكن، الفتاة التي لديها كل شيء، ولكنكن مخطئات، لقد أمضيت نهاية أسبوع كالجحيم، بالكاد تناولت طعاماً وبالكاد نمت، لأنني كلما كنت أغمض عينيّ كان يقفز إلى ذهني ذلك الكابوس حول مارك وهو مع ساره كليفتون. لقد سافرت إلى أميركا هذا الصباح كما تعلمن، لذا فإن نهاية هذا الأسبوع

كانت مميزة جداً لهما.

ولكنها بالطبع لم تتفوه بكلمة من هذا... بل أنها خلعت معطفها وعلّقته، ومررت المشط في شعرها الذي عبثت فيه الريح. وأخيراً قالت إحداهن بصوت محرج إنهن آسفات لسماعهن خبر مرض جدها، فابتسمت لها ببرود وقالت:

ـ شكراً لك... إنه الآن يتقدم إلى الأفضل بشكل ممتاز.

في طريقها إلى قسم العلاقات العامة، فكرّت أن ما قالته ليس أكثر من حقيقة، فمانيو كان يخطو خطوات واسعة للعودة إلى صحته الكاملة، ونُقل من قسم العناية الفائقة إلى غرفة خاصة في الطابق الصحي، وكان منزعجاً بشكل ظاهر لغياب مارك خلال نهاية الاسبوع، ولكنه لم يلحّ كثيراً على معرفة أسباب غيابه، فقد كان مشغول البال بمناقشة أمور أخرى.

تحدث عن الزفاف وتحضيراته، ووازن بين الكنيسة المحلية وحفلة الاستقبال فيما بعد في بريوري. وبين حفل فاخر في لندن وحفلة إفطار في فندق ضخم، يتبعه حفلة راقصة، وتناول بالبحث أيضاً وجهتهما في شهر العسل، وإذا كان مناسباً سكن مارك في بريوري إلى أن يجد منزلاً خاصاً بهما.

وتركته لوسي يتكلم كما يشاء، لأنه بدا مرتاحاً لهذا الحديث، وكانت تجيبه بما يحب أن يسمعه عندما يسألها، ولن يعلم أحد كما كلّفها هذا من حرق أعصاب.

ودخلت المكتب الذي تعمل فيه، وهي متأهبة لتلقي نظرات التعجب لظهورها من زملائها في الغرفة، وجلست وأخذت تتفحص بضع رسائل كانت على طاولتها لا تعرف كم مضى عليها هناك. حضورها في المكتب كان له تأثير على زميلاتها، فقد اختفت الشكاوى المعتادة، والقيل والقال أمامها، لأنها من عائلة بانهارد، وهن لن يستطعن الكلام أمامها الآن عن

مارك وعند مدى تأثيره على الشركة، وعن مستقبلها المتوقع معه بسبب الخاتم الذي رأينه في أصبعها، تشارلز رئيس الدائرة، لم يكن في غرفته فقد كان يحضر اجتماعاً في غرفة الاجتماعات، مع المديرين الآخرين، وتركت لوسي الملف الذي حضّرته حول موقف هارولد بانهارد في قضية سالزدور على مكتبه، لقد عملت على الملف بجهد، وقدّمت بعض الأفكار الجيدة، ولكنها كانت تعلم أنهم لن يأخذوا بها. فمارغو وجو يعملان في هذه الحملة. ولكن تشارلز أصرّ على أن تحضّر مشروعاً خاصاً بها لتبرير وجودها في العمل.

عندما كانت تعود من مكتبه إلى غرفتها سمعت صوت مارغو يرتفع قائلاً:

ـ ولماذا تهتم؟ كلنا نعرف أنها كانت تملأ وقت فراغها هنا بانتظار أن تصطاد رجلاً ثرياً، حسناً لقد استطاعت أن تفعل... وكيف...

وتوقف كلامها فوراً عندما دفعت لوسي الباب ودخلت... ولاحظت احمرار وجه مارغو من الخوف، وإحراج جو... فتقدمت نحو طاولتها بثبات دون أن يظهر عليها أي دليل على أنها سمعت ما كانت تقوله مارغو.

ولكن هذا أكدّ لها شيئاً شعرت به منذ لحظة وصولها عند الصباح... بأن شيئاً ما قد تغيّر. فرفاقها عادة لطفاء معها، ولكنها اليوم ساورها انطباع أنهم يتفادون نظراتها. وسألتهم:

ـ هل يعرف أي منكم كيف يجري الاجتماع؟.

فابتسم جو وقد بدا عليه عدم الارتياح.

ـ حسناً، لم تجري الدماء بعد من تحت الباب.

ـ ولكن لا بد أن هناك بعض الشائعات، كالعادة، ولا بد أن القهوة قد أُدخلت لهم الآن... ألم يعدّ أحد الجثث؟.

وقالت مارغو باختصار:

ـ سيكون هناك إعادة تنظيم جذرية... هذا ما يقال، وأن هذا سيعني فصل من ليس له لزوم في الشركة، وهذا القسم لم يكن كثير العمل في المدة الأخيرة، ونحن نتساءل من منا سيطاله الفصل.

فضحك جو وقال:

ـ الواصل الأخير هو أول الذاهبين، وهذا يعني أنني سأذهب كما أعتقد.

وفكرت لوسي وهي تنظر إلى طاولتها، جو قد نجح في إخفاء اضطرابه، ولكنه تزوج منذ شهور فقط، ولا بد أنه خائف حتى العظام، من توقع البطالة.

وكما توقعت لوسي أن يفكروا... إذا كان سيجري أي صرف لموظفي القسم، فسوف يتوقعون منها أن تتطوع بالانصراف، ولكنه هذا اخر ما كانت تفكر به.

فقد كانت تنوي أن تدخل مكتب تشارلز لتقول له إنها لم تعد ترغب في أن تكون مجرد ضيفة في المكتب، وانها تريد أن تكون جزءاً حقيقياً في العمل، أرادت أن تظهر لمارك أنها ليست فقط جسماً جميلاً يتمتع باقتنائه ووضعه في مواجهته على مائدة العشاء.

وأرادت أيضاً أن يكون عندها عمل جدي تشغل نفسها به كي تستطيع التوقف عن التفكير المستمر بالتفاهات العاطفية. يقال إن العمل المضني هو الحل الأمثل لكثير من المشاكل، لقد جاءت لوسي إلى العمل هذا النهار مصممة على بداية جديدة قد تكشف عن أنها عضو عامل بنشاط في الشركة. ومرت فترة الصباح ببطء ممل، عدة مرات رفعت سماعة الهاتف لتصل بمكتب جيرمان، وكل مرة كانت السكرتيرة تقول لها إنه لا يزال في الاجتماع.

كان وقت الغداء قد حلّ عندما ظهر تشارلز في الممر ودخل إلى غرفته

مباشرة. وقعد لحظات بدأت أجراس الانترفون على الطاولات ترن وتستدعيهم جميعاً إليه.

وابتسم لهم، وهو يقول:

- اجلسوا... جميعاً، ماذا ترغبون أن تسمعوا أولاً... الأخبار الجيدة أم الأخبار السيئة؟.

وارتفع حاجباه عند رؤية لوسي فقال لها:

- آنسة بانهارد... السيد ايڤانز قال إنك ستكونين هنا... ويريد منك الانضمام إليه للغداء.

وانتظر الجميع بأدب أن تنصرف، فأحسّت بالدم يعلو إلى وجهه.

- ولكن إذا كان هناك اجتماع للقسم...

فتنهد تشارلز:

- السيد ايڤانز ينتظرك، وقلت له إنني سأرسلك إليه فوراً.

فردّت عليه بصوت مرتجف:

- حسناً... سأترككم لمشاوراتكم.

وخرجت، مغلقة الباب وراءها، ولكنها لم تذهب رأساً إلى مكتب الإدارة، بل توجهت نحو قسم المبيعات، وقالت للسكرتيرة:

- هل أخي هنا؟.

وعندما هزت الفتاة رأسها بالإيجاب تجاوزته لتدخل مكتب جيرمان. كان وجهه مكتئباً، ولكنه ابتسم لها عندما شاهدها.

- كيف حالك؟.

واستندت لوسي إلى حافة الطاولة.

- ماذا حدث؟ كل ما سمعناه شائعات فقط.

- قد لا تكون الشائعات كاذبة دائماً، أريدك أن تلتقي برجل المكتب الجديد... لقد خرجت من قسم المبيعات، إلى الأبد كما أعتقد، ولم

يعطوني أية مسؤوليات حقيقية.

- وفي أي قسم أصبحت؟.

- في قسمه بالطبع، كي يستطيع مراقبتي على الدوام، فليرحمني الله لدي لقب. ولكنني مجرد مساعد.

- أنا آسفة.

- وفري بعض الشفقة لنفسك، فقد كان موظفوا المحاسبة يراجعون الحسابات، وتأثروا كثيراً بالارقام التي سمحوا لنا بصرفها في الماضي. وعليك أن تفتشي عن شقة أرخص يا حبيبتي، وسيارتي البورش، سيأخذونها، فإنها لا توافق فكرتهم عن سيارات الشركة.

واستمعت لوسي إليه دون اهتمام تقريباً... فأي من هذا لن يكون خسارة بالنسبة لها، فقد تجاوبت مع تصرفات جيرمان لأنه كان يصرّ على أن هذا ضروري، وأنها تساعد هارولد بانهارد بهذا، ولكنها لم تكن مقتنعة أبداً بالدور الذي كلّفها به، والنتائج اثبتت أن كل تحفظاتها كانت صحيحة، وتابع جيرمان بوحشية:

- وكل هذا حدث في أسوأ الأوقات، فكارين ستعود في الأسبوع المقبل، وهي لا تحب الخاسرين.

- وهل هذا مهم حقاً؟.

- أجل... اللعنة! كنت سأحاول إقناعها بالطلاق من زوجها، لتبقى معي بصورة دائمة، ولكن ليس أمامي أية فرصة الآن.

- أكيد أنك لم تخسر كل شيء... ماذا عن مقعدك في مجلس الإدارة؟.

- هذا لم يمس... حتى ايڤانز نفسه لا يستطيع انتزاعه مني. وهو يعلم أنني أستطيع فعل الكثير مع الآخرين ضده. لقد كان الجميع جالس في الاجتماع مثل القرود الحكماء الثلاثة، وهذا أمر مقرف، صديقك غولمان

كان منقسماً على نفسه، فلم يستطع أن يقرر بوضوح ما إذا كان سينغمس في التأييد المطلق لطرق ايڤانز، أم ينغمس في الغيرة المريرة، وقد يكون التأييد قد فاز هذه المرة، ولكنني أشك في أن يحدث هذا دائماً.

وفتح باب المكتب ودخل عليهما مارك، وتطلّع بلوسي بقساوة.

- اعتقدت أنك ستختبئين هنا، أم أنك لم تتبلغي رسالتي؟.

- لقد وصل إليّ الأمر الملكي، ولكن ألا تظن بأنني قد لا أريد تفويت اجتماع القسم؟.

- حسب سجلك القديم؟ صراحة لا... لقد بدت السعادة على تشارلز فوستر لإبعادك.

- من الصعب عليه مجادلة رئيسه الجديد في يومه الأول.

فابتسم لها ساخراً:

- لا أظن بأنه فكّر هكذا... هيا لنذهب إلى الغداء.

- لست جائعة.

- وانا ليس عندي وقت كثير... هل نذهب؟.

وذهب بها رأساً إلى موقف السيارات حيث كانت سيارته متوقفة في المكان المخصص لوقوف سيارة ماثيو، وعندما أصبحا في الشارع العام في ازدحام السيارات سألته:

- أين نحن ذاهبان؟.

- إلى شقتي... أرغب ببعض الراحة والهدوء، والخلوة، لقد كان صباحاً كالجحيم، وبعد الظهر سيكون ألعن، فنصف من في الشركة يتصرف وكأنني من الآلهة، والنصف الآخر وكأنني الزعيم العسكري سيزار بورجيا، ولا تقولي لي إلى أي جانب أنت، لأنني أستطيع التخمين.

- أفضّل أن أعود إلى المكتب.

- لا تكوني سخيفة، فليس أمامي وقت طويل... نحن ذاهبان إلى

الشقة لأنك لم تشاهديها بعد.

- لا أريد رؤيتها، إنها لا تهمني أبداً.

- إذاً ستضجرين منها، لقد كنت أعتقد أن التفرج على شقق الناس هو المفضل لدى أغلبية النساء.

- أنا لست من أغلبية النساء، ولم أكن أعتقد أنك تنظر إلى شقة نظرتك إلى منزل عائلي.

- إذاً سمعتني بعضاً مما كنت أقوله، أنا مندهش.

كانت الشقة في إحدى المجمعات السكنية يحيط بها حدائق جميلة. الخدمة فيها تكفي لكل المتطلبات، فقد حضّرت مائدة الطعام بأيدي خفية، ليس في غرفة الطعام بل على طاولة في زاوية غرفة الجلوس قرب نافذة تطل على منظر الحدائق الرائعة، وصبّ لها مارك كوب عصير، ثم اختفى قائلاً إنه سيعود قريباً، وجلست غير مرتاحة، وأخذت ترتشف العصير وهي تنظر إلى ما حولها، وتفحصت كل شيء ببطء وعناية. مدركةً في قرارة نفسها انها تفتش عن أي أثر لساره كليفتون، وكرهت نفسها لهذا.

عندما رن جرس الهاتف أجفلت متوترة، وانتظرت أن يرد مارك، فلا بد أنه قريب ليسمعه، ولكن استمرار الرنين أزعجها، فرفعت السماعة...

- آلو... هل أنت الآنسة بانهارد؟ آسفة لإزعاجك، ولكن هل أستطيع التحدث مع السيد ايڤانز؟ هناك مشكلة صغيرة يجب أن يعرف بها.

- أنت السيدة بروس أليس كذلك؟ سأحاول أن أجده لك.

وخرجت إلى الردهة تبحث عنه متسائلة أين يكون، كل الأبواب كانت مغلقة ما عدا واحداً، وتقدمت منه بسرعة ونظرت إلى داخله وهي تناديه باسمه.

كانت غرفة نوم، مفروشة بألوان البيج والشوكولا، وبدت فارغة، ولكن كان هناك إشارات عن وجوده، ولاحظت باباً آخراً، من خلفه سمعت

صوت المياه، وتقدمت برغمها نحوه.

ـ مارك... مكالمة لك...! إنها سكرتيرتك.

وتوقف صوت المياه فجأة، وبعد لحظة خرج من الحمام وهو يضع منشفة حول وسطه، وأخذ سماعة الهاتف من على طاولة قرب السرير.

ـ سيدة بروس؟ ماذا هناك؟.

وأصغى إليها وهو عابس وأدركت لوسي أن عليها الخروج، فقد أبلغت الرسالة ولا يجب أن تطيل البقاء هنا. ولكنها بقيت حيث هي، وأخذت تراقبه، مثل طفل ينظر إلى واجهة العاب من خارج المحل. ونظر إليها مشيراً لها بيده أن تقترب وأطاعته لوسي وكأنها منومة، وأحاطها بذراعه مقرباً إياها إلى جسده... واستمعت إليه وكأنها في حلم يعطي تعليماته، ثم يضع السماعة مكانها، وأجفلت للمسة يده الثانية على كتفها الآخر بلطف، فتلاشى آخر ما تبقى عندها من تفكير سليم، ومن كل قلبها تعلقت به دون تفكير، ولم تعد تهتم، كل ما يهمها الآن أن تبقى كما هي بين ذراعيه، وفاحت من السرير رائحة عطر مميز، إنها ليست لمارك... فهي قد اعتادت على عطره الآن، وليس عطرها أيضاً.

تصلب جسدها مقاوماً، وقالت وكأنها تناوه:

ـ لا...

وحركت نفسها بقوة لتصبح فوق الفراش وتقطعه إلى الجانب الآخر، الفراش الذي شاركته فيه ساره كليفتون، وتحرك مارك بحدة، وأصبح جسده كالسجن لها حتى أنها لم تستطع الخلاص:

ـ ما الأمر؟.

ـ اتركني.

وأحسّت بالاشمئزاز من نفسها لأنها نسيت، هكذا بكل بساطة.

ـ ولماذ أتركك بحق الجحيم؟.

وأدارها نحوه مجبراً إياها على مواجهته ثانية:

ـ لقد بدأت بهذا، وسوف تكملين ما بدأت به!.

وانزلقت دمعة من تحت جفنها، وانسلت إلى خدها، وتبعتها دمعة أخرى، ثم أخرى، وسمعته يشتم بصوت خفيض، ثم أصبحت حرة... فاستدارت على جانبها وطوت نفسها ببؤس، ورفعت يديها المرتجفتين لتغطي وجهها المبلل بالدموع، وشعرت وكأنها تتحطم إلى قطع صغيرة، وبدا وكأن عطر ساره كليفتون قد ملأ رأسها وأجبرت نفسها على الجلوس... وأخذت تضغط على فمها بيدها كي تمنع صوت البكاء من الخروج، فقال لها مارك بخشونة:

ـ تمالكي نفسك بحق الله!.

وسمعته يبتعد عنها ويدخل الحمام مجدداً، عندها فتحت عينيها... ونزلت عن السرير وأسرعت راكضة نحو غرفة الجلوس، وارتدت سترتها وبحثت كالمجنونة عن حقيبتها، وهي تنوي الهرب. والتقى بها مارك عند الباب وسدّ لها الطريق بذراعه، وقال ببرود:

ـ أين تظنين نفسك ذاهبة؟.

ـ إلى أي مكان... بعيداً عنك.

ـ لقد تأخر الوقت لهذا... يجب أن نتكلم قليلاً.

ـ ليس لدي شيء أقوله لك!.

ـ إذاً ابقي صامتة واستمعي إليّ.

وأمسك بذراعها وجرّها إلى غرفة الجلوس، وأجلسها على أحد المقاعد وقال:

ـ واهدأي، فما تبقى لي من شهية تكاد لا تكفي للطعام.

وأحنت رأسها إلى الأسفل وتمتمت:

ـ أنا آسفة...

- وهل أنت آسفة حقاً؟ أنت تعرفين كل أنواع الخداع يا جميلتي، ولكنك لم تحسبي جيداً حساب آخر خدعة لك، فأنت تعرفين أن الدموع، ستردعني عنك، وإلا لكان لديك شيء تأسفين عليه حقاً أيتها الباردة الدم المزعجة!.

وأرجفها الغضب في صوته، وتابع:

- لقد تصرفتي وكأنني خططت لحدوث هذا!.

- لم يكن المجيء إلى هنا فكرتي، وهل من عادتك أن تستحم في منتصف النهار؟ ولماذا لم ترّد على الهاتف بنفسك؟.

- عندما أمر بيوم مرهق كهذا، أستحم وأغير ملابسي، والآن تناولي بعض الطعام إلا إذا كنتِ لا تريدين مشاركتي الأكل أيضاً.

- لقد قلت لك إنني لست جائعة.

- لقد قلتِ هذا... أليس كذلك؟ وكان يجب أن أصدّقك وأوفرّ عليّ كل هذا الألم في معدتي.

وذهب إلى الطاولة وملأ طبقاً بالطعام، وصبّ كوباً من العصير وعاد ليجلس على المقعد المواجه لها.

وبدا كأن الصمت سيستمر إلى الأبد، ولكنه قال أخيراً:

- عندما أتيتي إلى ما بين ذراعيّ... اعتقدت أنها وسيلة خاصة لإبلاغي بأنك أعدتي النظر في موضوع الزواج... هل أنا على حق؟.

ونظرت لوسي إلى السجادة السميكة تحت قدميها وتمنت لو أنها مستلقية عليها... ميتة، وجالت في ذهنها عشرات الأجوبة، لم تكن قادرة على ذكر واحد منها، ولكنها كانت تعرف ما تريد أن تقوله، فقال لها مارك بعنف:

- أنا بانتظار ردّك.

وبللت شفتيها بطرف لسانها، ونظرت إليه متفحصة:

- أنا... لست أدري... أنا... أحتاج إلى وقت أطول.

- حسناً... لن تحصلي على أي وقت، وسوف تعطيني الردّ، سلباً أم إيجاباً، قبل أن تغادري هذه الشقة اليوم.

- أنت تدفعني دفعاً للردّ.

- بل على العكس... فأنا أمارس ضغطاً على أعصابي يفوق قدرة البشر، كان عليّ أن أفعل شيئاً منذ البداية، ولكان هذا قد أصلح الأمور جميعاً، ولكن الوقت لم يفت بعد، بإمكاني أن أتصل بالشركة لأطلب منهم أن يلغوا الاجتماع، لأن عندي مفاوضات هامة أريد إنهائها.

وأرجع رأسه إلى الوراء، وراقبها بوجه جامد متحدي.

- أليست هذه طريقة غريبة للحصول على مضيفة لمنزلك؟ وبالنسبة لماضيّ، ألن تخاف أن أدمّرك بتهوري؟.

- لا... لن أخاف.

- هذا دون ذكر أنني لست جديرة بالثقة.

- هناك عقبات في كل زواج... على الأقل نحن نعرف مساوئنا مقدماً، وهناك بعض الحسنات إيضاً... فلن تجديني... غير كريم ولكنني سأتوقع ما يناسب مقابل مالي، ولن تتمكني من منعي بعد أن نتزوج.

فهمست بمرارة:

- يا ابن الحرام.

- ولكن والداي كانا متزوجان، ومما أستطيع تذكره، كانا سعيدان بزواجهما، ولا شك أن أمي ستخبرك هذا يوماً، إنها تعيش في جنوبي فرنسا، لأن الشتاء في بريطانيا لا يناسبها. ولكنها ستعود إلى لندن الأسبوع القادم لتقابلك.

- أوه... لا!.

الأمور تجري بسرعة مذهلة، ورفعت يديها إلى وجهها.

ـ ولماذا لا؟ نحن مخطوبان رسمياً يا حبيبتي، هل نسيتي؟ ومن المفترض أن أقدّمك إليها قبل إعلان الخطوبة.

ـ الأمر كله ورطة، يا إلهي، ما كان يجب عليّ الاشتراك معك في هذه التمثيلية...

ـ ولكنك فعلتي بطيبة خاطر يا لوسي، والأوان قد فات للندم، وسوف تعطيني رداً، أم أقترب لأنتزعه منك؟.

واغمضت عينيها وهي تحس بالارتجاف في داخلها:

ـ لا... أرجوك! إذا أردتني أن أتزوجك... سأفعل... ولكن على شرط.

ـ أنا بشوق لسماع شرطك، أهو رجاء أن اعفيك من رغباتي؟ فإذا كان الأمر كذلك، انسي هذا، فأنا أريدك يا جميلتي، وسأحصل عليك متى وأين أريد، ولا تدّعي أبداً أنك لا ترغبين في هذا يا لوسي، لأنك لن تخدعيني ولن تخدعي نفسك!.

ووقعت كلماته عليها كوقع المطرقة، فقالت له دون مشاعر:

ـ لا... أعتقد أنني لن أستطيع خداعك، ولكن ليس هنا... أرجوك... أرجوك! فهذه الشقة... أنا... أكرهها! لا أريد أن أعيش هنا.

ـ إذاً لن نعيش فيها... لقد أوضحت لك أنني أرغب في منزل وليس شقة عازب، ولكن مؤقتاً...

ـ لا، ولا حتى مؤقتاً، و... ويجب أن تتخلص من ذلك الفراش أيضاً!.

وساد صمت قصير، ثم قال ساخراً:

ـ حسناً.. هل أنت خائفة من الأشباح يا لوسي؟ لا لزوم للخوف.

ـ أكنت خائفة أم لا... هذا هو شرطي.

ـ موافق.

ووقف، ثم جذبها لتقف أيضاً، وقبلها على خدها... وكأنما يوقع الختم على اتفاقهما... يا إلهي... ماذا فعلت؟.

وطاردها هذا السؤال خلال باقي اليوم، وكان هناك جو ثقيل يخيم على القسم عندما عادت، والتقت عند الباب بجو الذي بدا كالأموات، فسألت وهي تجلس على كرسيها:

ـ ماذا حدث؟.

وردّت مارغو:

ـ ما توقعناه تماماً، فصل واحد فوري، وإعادة نظر بعد ثلاثة أشهر.

ـ ومن يكون؟.

فهزّت مارغو كتفيها.

ـ سنعرف خلال هذا الأسبوع... جو في حالة يُرثى لها، فهو وزوجته قد انتقلا لتوهما إلى منزل جديد.

وتنهدت مارغو وبدأت تطبع على الآلة الكاتبة بسرعة، وجلست لوسي عند طاولتها مفكرة، وأخيراً مدّت يدها إلى دفتر الملاحظات واقتطعت منه ورقة وكتبت استقالتها، وأدخلتها إلى تشارلز الذي قبلها دون دهشة، وحتى بشيء من الارتياح.

ونظفت طاولتها من أغراضها، مدركة أن الآخرين كانوا يراقبونها ولكنها لم تقدّم لهم أي إيضاح... لم يعد لها شيء هنا، لقد اختارت طريقاً آخراً في الحياة، لذا كان يجب أن تترك وظيفتها.

ولاحظت كذلك تغيراً في تصرفات زملائها، عندما تقدمت مارغو من ماكينة القهوة، لتصب كوباً لنفسها، وأتتها بكوب، ثم قال جو فيما بعد:

ـ لقد عرض علينا تشارلز بعض الأفكار من مشروعك لحملة سالزدور

إنها أفكار جيدة.

- شكراً... كل ما كنت أرغب به أن تتاح لي الفرصة.

عندما وقفت لتغادر تقدّم الجميع منها وصافحوها مودعين. وبينما كانت تقطع الممر باتجاه الدرج سمعت صوتاً يناديها، فتطلعت من حولها لتجد ايربي غولمان عند باب مكتبه، فقالت له محرجة:

- مرحباً ايربي... لقد ظننتك مشغول بالاجتماع.

فضحك وقال:

- لقد سمح لنا بربع ساعة من الراحة، يا إلهي كم نحتاج إليها! لوسي... ماذا حدث؟ ذلك الإعلان في الجرائد... هل الأمر حقيقي؟ كان لدي انطباع...

واحمرّ وجهها وقد عرفت ما هو الانطباع الذي كان في ذهنه.

- هذا صحيح... أنا ومارك ايفانز اصبحنا مخطوبين، ولا أستطيع تفسير ما جرى... أنا بنفسي لا أفهم...

فقال لها بصوت خفيض:

- ولكنك لست سعيدة، وهذا واضح، مراقب عادي سيلاحظ هذا، ولن أستطيع الادّعاء بأنني عادي... لست مضطرة لقبول الخطبة، مهما كانت الضغوط يا لوسي.. دعيني أساعدك.

وأمسك بيدها، فحاولت جذبها منه، وقد بدا في عينيها الاضطراب.

- لا يستطيع أحد أن يساعدني... لقد تصرفت بشكل سيء جداً يا ايربي ولا أعرف كيف أعتذر لك.

- لقد أُجبرت على فعل هذا. أعلم أن هناك مشاكل يا لوسي، ولكنك لست مضطرة للوصول إلى هذه الدرجة لحلّها... لا تقفلي الباب في وجهي يا عزيزتي... لم يفت الوقت بعد.

وسمعت مارك يقول:

- الوقت يتأخر دائماً يا غولمان، لقد بدأ الاجتماع ثانية، حتى لو بأمرت أنت.

وشهقت لوسي، لم تسمعه وهو يتقدم منهما، ولم تعرف ماذا سمع من حديثهما، ولكن النظرة في عينيه لم تكن مطمئنة.

وترك ايربي يدها، واستدار وهو يتمتم بالاعتذار متجهاً إلى غرفة الاجتماعات، وأمسك مارك بكتفيها:

- انتظري لحظة... أين تظنين أنك ذاهبة؟.

- لم أعد أعمل هنا، لقد استقلت.

- أمر حكيم... وبما أنك بدأت هذا... عليك أن تبلغي رفيقة سكنك أنك ستتركين الشقة أيضاً، حضّري أغراضك وسأحضر فيما بعد لأصطحابك إلى بريوري.

- ولكنني لا أستطيع.. ليس بهذه الطريقة... هذا لن يكون إنصافاً لجولي...

- سأتأكد بنفسي من أن لا تواجه صعوبات مالية، ولن يكون هناك اعتراض من صاحب الملك.

- ولكنني استطيع البقاء في الشقة إلى نهاية مدة الإنذار...

- تستطيعين... ولكنك لن تفعلي، لقد أن الأوان لقصّ أجنحتك يا جميلتي، لقد قلت لك إنني لن أتحمل أية الاعيب أخرى مع غولمان، وأعني ما أقول. ستذهبين إلى بريوري الليلة، وستبدأين بتعلّم كيف تتصرفين بشكل حسن.

- لم يكن الأمر كما تعتقد.

وردّ عليها بسخرية:

- لا؟... إذا كنت تريدين أن أصدّق، ما كان عليك السماح له بأن يلاطفك في الممر الرئيسي، مهما فعلتي في الماضي يا لوسي، فمن الآن

وصاعداً، لديّ كل الحقوق عليك، وأنا مستعد لفرضها عليكَ لو اضطررت، وأعتقد أنك تفضّلين تجنب هذا؟.

وأرخى قبضة أصابعه على كتفيها، ثم تركها مضيفاً بهدوء:

- اذهبي وحضّري أغراضك.

وتملكها دافع مجنون لترمي نفسها بين ذراعيه، وتقول له إن لا ايربي ولا أي رجل حي آخر يعني أي شيء لها، وإنها تحبه، تحبه وحده، وإنها ستفعل أي شيء، يريدها أن تفعله... لو أنه فقط... لو أنه يبادلها الحب.

ولكنه كان قد ابتعد عنها باتجاه باب غرفة الاجتماعات المفتوح حيث كان الجميع ينتظرون وصوله، وضاعت منها الفرصة.

وراقبت الباب وهو يغلق وراءه... ثم هبطت الدرج... لوحدها.

●●●

٧ - حب بدون أمل

كانت قد حزمت نصف حقائبها عندما سمعت صوت مفتاح جولي يدور في قفل الباب، فخرجت إلى الردهة لتستقبلها:

- مفاجأة!.

- أهلاً بك في البيت... تبدين تعبة قليلاً، ولكن الأمر ليس غريباً في ظل الظروف التي تمرين بها.

وتنشقت رائحة الهواء مضيفة:

- طعام... أيتها الملاك!.

- نوع واحد... بدا لي هذا أقل ما أستطيع فعله... وأتمنى أن تظلي معتقدة أنني ملاك عندما أخبرك بالأخبار.

وفتحت باب غرفة نومها كي تشاهد جولي حقائبها، وارتفع حاجبا جولي.

- يا إلهي! تبدو سرعة الضوء ضئيلة بالنسبة لسرعة مارك ايڤانز! متى كان الزفاف؟ بالأمس؟.

- لا...

- ولماذا لا؟ ليس هناك ما يدفعك للانتظار، وخاصة بعد أن ذاب الجليد من محواك... وأشكر الله أن الأمر تم لصالح مارك ايڤانز بدلاً من

WWW.RIWAYA.COM مـــرو

أحد اصدقاء جيرمان المزعومين، شقيقك على اتفاق مع كل القذرين في لندن... وليس كلهم من الرجال.

وتناولتا اللحم والخضار المطبوخة التي حضرتها لوسي، في المطبخ، ثم وبينما كانت جولي تنظف الصحون وترتب المكان، تابعت لوسي توضيب ثيابها... سوف تشتاق لجولي كثيراً، كانت تودّ أن تخبرها ببعض أسرارها، ولكن شيئاً ما منعها، ربما شعور بأن ما من نصيحة مهما كانت جيدة سوف تساعدها في وضعها هذا، اضافة إلى أن جولي لديها مشاكلها الخاصة، وتساءلت بمرارة لماذا كانت عمياء عن هذا الواقع.

وقالت جولي وهما جالستان تشربان القهوة:

ـ ربما بعض التغيير من حولنا سيكون مفيداً لنا، والأمر سهل عندما يستطيع الإنسان أن يكون مرتاحاً في مكان محدد. ولكنني لن أستطيع تحمّل مصاريف الشقة لوحدي، سوف أبدأ بالتفتيش عن مكان آخر... ربما سأحاول مع زميلتي في المكتب، فريقتها في السكن ستتزوج أيضاً، ولكننا سنبقى على اتصال.

ـ بالطبع... فأنت اشبينة العروس الرئيسية.

وتابعت عملها بسرعة، ولكنها لم تكن قد انتهت عندما رن جرس الباب فصاحت لجولي «سأفتح الباب بنفسي». ووجدت مارك يقف عند العتبة، والتقت عيناه الباردتان بعينيها فقال:

ـ هل أنت جاهزة؟.

ـ ليس تماماً بعد... يبدو أن لديّ أغراض أكثر مما كنت أتصور. هل يجب أن أذهب هذا المساء بالتحديد؟... لو أن أمامي يوم آخر...

ـ هذا المساء... فأنا أيضاً لا أحب الأشباح.

واستدارت لوسي مبتعدة، فما فائدة النكران إذا كان لن يصدقها؟ ربما

عندما تصبح زوجته، ويصبح لديه البرهان القاطع أنها لازالت عذراء، فسوف يعيد النظر بأفكاره ثانية، وقالت له:

ـ إذاً... ربما لن تمانع في الانتظار... وأنا متأكدة ان جولي ستقدم لك بعض القهوة.

فهز رأسه واتجه نحو المطبخ، واسرعت لوسي ترمي آخر اغراضها في الحقائب، كانت توضب ثيابها فقط، ولكن كان هناك اشياء لم يكن معها مكان تضعها فيه، أو الوقت لتوضبها، بعض الحلى، والكتب، وشرائط التسجيل، ولوحات اشترتها اكثرها غير ثمين، سوف تعود لتأخذها فيما بعد.

ووقفت جولي عند باب المطبخ تراقب مارك وهو يخرج الحقائب من غرفة نوم لوسي، وقالت وهي تتنهد:

ـ كم أحب الرجل السيد.

فابتسم لها:

ـ نحن سلالة تنقرض.

فتأوهت:

ـ أيعني هذا أن لا أخ لك؟

ـ ولا حتى ابن عم.

وودعت لوسي جولي، واعدة إياها بالاتصال بها عندما تقرر نهائياً ماذا ستفعل، وتبعت مارك إلى سيارته.

وما ان جلس في مقعده حتى نظر إلى لوحة العدادات أمامه مفكراً للحظة، فوضعت لوسي يدها على ذراعه وقالت:

ـ خذني إلى محطة القطار... أستطيع الذهاب لوحدي، لقد واجهت يوماً مزعجاً، ولا يمكن أن تكون مرتاحاً في القيادة لهذا المسافة الطويلة.

ـ ربما لا... ولكنني سأذهب على كل الأحوال، وتخلي عن هذا

الدلال يا لوسي، فأنا لا أريد هذا منك إطلاقاً.

- وماذا تريد يا مارك؟

- لقد ظننت أنني أوضحت لك الأمر، أريد منك نشاطك الاجتماعي... ومعاشرتك، هذا كل شيء، فهل ترغبين في معرفة المزيد؟

- لا... أعتقد أن هذا يعطي كل المعلومات التي أريدها.

وانزلقت في مقعدها، وكأنها تتحضر للنوم، ولكن خلف عينيها المغمضتين ووجهها الهادىء، كان تفكيرها يركض في دوائر، مثل حيوان صغير في قفص، ينظر من حوله دون جدوى عن سبيل للخلاص.

عندما وصلا المنزل، راقبته وهو ينزل حقائبها من السيارة، متسائلة عما إذا كان سيعود إلى لندن، ولكن جاءها الرد على تساؤلها عندما خرجت السيدة برونسون وأعلمتهما أنها ستحضر لهما بعض السندويشات وصينية قهوة إلى غرفة الجلوس، وأضافت:

- لقد قلت إن هذا كل ما تريده، ولكن إذا كنت تفضل، لن يستغرق تحضير الطعام أي وقت.

فابتسم لها مارك، وبدأت خطوط التعب على وجهه ترتخي.

- السندويشات كافية... هل تحضرينها بعد عشر دقائق.

- كما تريد يا سيدي... ولقد حضّرت لك السرير في الغرفة التي كنت فيها من قبل، وأرجو أن يرضيك هذا.

وعندما أصبحا لوحدهما قالت لوسي:

- لم أكن أعلم أنك خططت لقضاء الليلة هنا.

- وهل من اعتراض؟

- لا أعتقد.

- حديثك مهذب... ماذا حدث للاهتمام الانثوي الزائد الذي كنت

تتصرفين به في لندن؟ لقد ظننت عندها أنها ستنقلب إلى رغبة جامحة في التخلص مني بأي ثمن.

فهزت كتفيها دون اكتراث.

- إذا كنت تفضل ان تفكر هكذا.

- معظم الوقت أكون ملعوناً لو أنني أعرف بماذا أفكر.

- لقد تناولت عشائي في لندن، فإذا كنت لا تمانع أريد أن أصعد إلى غرفتي، الوقت أصبح متأخراً وأريد أن أفرغ حقائبي...

- واذا كنت امانع؟ ستصبحين زوجتي، وربما أريد منك أن تساعديني لأرتاح، أليس هذا ما يفترض بالزوجة الطيبة أن تفعل؟

ونظرت إليه عبر الغرفة برجاء صامت، فقال لها بنفاذ صبر:

- هيا اذهبي... يبدو وكأنك على وشك الانهيار.

وبدت لها غرفتها غريبة وهي تتجول فيها على مهل، وتعلق ثيابها في الخزانة، فكرة إنها قضت معظم طفولتها وشبابها بين هذه الجدران الأربعة بدت غريبة، لأنها لا تعني لها شيئاً الآن، ربما تلك الطفلة، تلك الفتاة، لم تكن موجودة أبداً.

الفتاة التي حلمت أحلامها في هذه الغرفة ذهبت إلى الأبد، وعلمت لو أن الزمن عاد إلى الوراء، وانمحى الاسبوع الماضي من الوجود، لما كان هذا اختيارها، ولكن حتى حسب شروطه، إنها تريده، للأفضل أو للأسوأ... هي تريده.

ولم تكن الدقة على باب غرفتها مرتفعة الصوت، ولكنها في الصمت بدت مدوية، والسيدة برونسون لا تقرع الباب هكذا، وتكررت الدقة على الباب، ثم فتح ودخل مارك، وقال لها ساخراً:

- هل أصبحت صماء خرساء؟

- لا... ولكنني لم أكن أرغب في أن يزعجني أحد... أريد أن أنام.

- لقد سمعت حركتك وأنت تعلّقين ثيابك، وعلمت أنك مستيقظة.

- ولكن هذا لا يعني بالضرورة أنني أرغب في رفقة أحد.

- أوه... هذا أمر سخيف، اذا كنت تظنين أن سياسة الصدّ هذه قد تملأني رغبة، فأنت مخطئة، لقد مرّ عليّ يوم سيء، ولست في مزاج جيد للألاعيب، وأفضّل أن أنتظر إلى أن يصبح لي حق شرعي لأفرض عليك مطالبي، وأتمنى أن يريحك هذا.

- هذا رائع... أشعر كالشخص الذي قيل له إنهم لن يعدموه الآن لأنهم يبنون مشنقة أكبر وأكثر فعالية، هل لك أن تقول ماذا تريد مني الآن؟

- اريد أن تعرفي بأنني اتصلت بالمستشفى، وأن ماتيو قضى يوماً جيداً، واعتذرت عن تقصيرنا في زيارته، وأننا ستزوره غداً.

- أجل... بالطبع، شكراً لك على اتصالك به... كان يجب أن أفعل هذا بنفسي.

- لا تفكري بشكري، فأنا أحب ماتيو فعلاً، وأنت تعلمين هذا، وليس الأمر مجرد عرفان بالجميل لأنه ساعدني مرة.

ودفعها شيطان ما لأن تقول:

- ولا الخدمات التي قدمّها لك منذ ذلك الحين؟

- وماذا تعنين بهذا القول الآن؟ إذا كنت تعنين «هارولد بانهارد» فأنا لا أنظر إلى إخراج الشركة من الدمار الذي لحق بها وكأنه جميل يقدم لي، أم أنك كنت تفكرين بأفكار شخصية يا جميلتي؟

- لا تناديني بهذا الاسم.

- ولما لا؟ إنه ليس إلا حقيقة، إنك جميلة فعلاً.

- يبدو أن رجلاً في مثل وضعك المالي ليس محتاجاً إلى التودد لامرأة بهذه الطريقة، أليس كذلك؟

- ليس دائماً، وليس في نيتي أن أبدأ الآن، لذا أحذرك يا جميلتي...

أنا آخذ ما أريد دائماً.

- وتدفع الثمن؟

- قدر ما يساوي، واحذري أن لا ترفعي سعرك أكثر من اللزوم يا لوسي.

- وإذا فعلت، ماذا بعد؟ هل ستلغي... العقد بيننا؟

- ليس هناك مجال لإلغائه يا جميلتي، ولكنني سأعيد وضع الشروط بطريقة لن تعجبك أبداً...

- بنفس الطريقة التي تعيد بها وضع شروط العمل في «هارولد بانهارد»؟

فابتسم، ولكن نظرته أصبحت حادة أكثر.

- ليس تماماً، أنت إذن لا توافقيني على طريقتي في العمل؟

- لم يعد الأمر يهمني، فلم أعد أعمل هناك... أتذكر؟

- ولكن هذا لن يمنع جيرمان من البكاء فوق كتفك، وعندما يفعل تذكري أنه هو من جلب المشاكل لنفسه.

- اذاً... تخفيض مركزه هو عقاب إضافي له.

- تخفيض مركزه؟ لا أستطيع أن أقول هذا، فسوف يتعلم كيف يتعامل مع الوظيفة بشكل ملائم، بدلاً من التلاعب على هواه في قسم المبيعات، فما هي العقوبة في هذا؟

- أوه... أنت تجعل الأمر يبدو معقولاً، ولكنك تعرف كما أعرف إنك تصفعه على قفاه...

- ربما على شخص ما أن يفعل هذا هل تفضلين أن يكون هذا الشخص زوج كارين فوكسهول، لأن هذا متوقع أيضاً.

وارتفع رأسها، ونظرت إليه متحدية:

- وماذا تعني؟

- وهل عليّ أن أشرح لك الأمر؟ لا يمكن له أن يمضي في علاقته مع سيدة معروفة مثل كارين دون أن يعلم أحد بالأمر، وعادة عندما يتوقف الناس عن المراقبة، يبدأون بالكلام، والكلام سرعان ما ينتشر، وعلى عكس ما يقال، الزوج ليس آخر من يعلم.

وعضت لوسي على شفتيها بخوف.

- ماذا تعتقد أنه سيحدث؟

- أنا لست زوج كازين... كان عليه أن يتأكد من أن باب اسطبل زوجته محكم الإغلاق منذ اليوم الأول لزواجهما، بدل الوقوع في فخ الاتهامات بعد فوات الأوان، وأنا أعرف بعض معارفه وهم يعتقدون أنه مليء بالغضب، وعندما يفقد صبره يصبح شريراً.

وبللت لوسي شفتيها بطرف لسانها.

- إنه حقاً يحبها... أقصد جيرمان... كان سيطلب منها ترك زوجها والبقاء معه.

فسألها مارك ساخراً:

- وهل يستطيع تحمّل مصاريفها؟ مهما كانت حساباته إنها امرأة غالية الثمن عليه.

- بالطبع لن يستطيع بعد الآن.

- اذا كنت ستتهميني بأنني وضعت العصي في دواليب حب حقيقي، فانسي الأمر، السيدة فوكسهول تحب نفسها بالدرجة الأولى، وأموال زوجها بدرجة متساوية، ولا أظن أن جيرمان يناسبها بعد الآن، إلا مصادفة.

ولم تستطع اتهامه بعدم الانصاف، لأن تحليله للوضع يناسب تماماً تحليلها، وسألته:

- وهل أنت تتكلم عن... تجربة؟

- لنقل إنني أعرف هذا النوع من النساء، كما كنت ذكية لتشيري إلى هذه النقطة، فإن مدخولي قد سمح لي بهذه المعرفة، على كل، ما كنت ستوافقين على الزواج مني لو كنت فقيراً.

تغيير الحديث هكذا اصابها كلسان السوط، فأجفلت. وبدأت كلمات الإنكار الغاضب تتجمع بين شفتيها قبل ان تدرك، في الوقت المناسب، أن ما يحدث بينهما ينطبق على ما يقول.

لقد قال لها منذ فترة قليلة «أريد منك نشاطك الاجتماعي... ومعاشرتك» والحب ليس الكلمة المستعد أن يشملها في علاقتهما، لهذا لا تستطيع أن تكون هي البادئة بتقديمها، ففي أفضل الاحتمالات... سوف يحرجه هذا، وفي أسوأ الاحتمالات قد يسخر منها، ولن تخاطر بمواجهة أي من الاحتمالين، وقال لها:

- لما انت صامتة؟ أتفكرين بطريقة كي تقذفي بخبر ما في وجهي؟

- ولماذا أفعل هذا؟ أنت تعلم جيداً أنني لن أتزوج أي إنسان قد يكون فقيراً... والآن أرجوك اسمح لي بأن اكون لوحدي في غرفتي. أنا تعبة.

- لسوء الحظ، يبدو أن حديثنا قد انعشني تماماً، وربما لم أعد راغباً في تركك باقي هذه الأمسية.

وأخذ التوتر يغزو أعصابها، وأصبح صوتها جامداً:

- سوف أكون سعيدة إذا خرجت من هنا.

- أنا أكيد من هذا، وفي الواقع ستكونين سعيدة أكثر لو استطعتي أن تجعليني أختفي تماماً بإشارة من اصبعك، ولكنني لن أختفي يا لوسي، ليس الآن ولا فيما بعد.

وتقدم خطوة منها، فتراجعت، وداست على طرف روبها، فوقعت على ركبتيها فوق كومة الملابس على الأرض، وضحك مارك، وقال ساخراً:

- من هو المتوسل الآن؟

- اتركني وشأني!

وتقدم منها ليساعدها على الوقوف فصرخت به:

- لا تضع إصبعك عليّ.

فقال لها من بين أسنانه.

- سأضع أكثر من إصبعي عليك!

فارتجفت وزحفت مبتعدة عنه:

- مارك... أرجوك! لقد قلت... إنك ستنتظر... إلى أن نتزوج، أنت قلت هذا.

- إذاً خذي درساً جديداً لهذا المساء، ليست النساء وحدهن من يسمح لهن بتغيير آرائهن.

وأمسك بذراعها ورفعها، فضربت بيدها على صدره:

- لا!... سوف أكرهك إذا فعلت.

- قولي شيئاً جديداً.

وضمها إلى صدره بقوة وتابع:

- بطريقة أو أخرى يا لوسي، سوف أجعلك تعترفين بأنك ترغبين بي بقدر ما أنا راغب بك.

هذا صحيح... صحيح، كيف يمكن أن تنكره بينما كل جسدها يضج بحبه؟ ولكن هذا الاعتراف، لو صدر عنها، قد يجرّ اعترافات أخرى، ويسبب المزيد من الضرر لها.

وأجبرت نفسها أن تقف جامدة بين ذراعيه، تنظر إلى وجهه، وهي تحاول تجميع بعض الشجاعة من داخلها، ورسمت ابتسامة مغتصبة على شفتيها:

- اتريد هذا... أجل... ولكنني لا أرغب بك... ليس بشكل خاص، لسوء الحظ، أليس كذلك؟

وتجمد فجأة، وامتزج الغضب فيه بالقلق، فقال بهدوء:

- هذا من سوء حظك أنت، بالطبع. إذا كنت تظنين أن الأمر سيشكّل أي فرق عندي أو بالنسبة لاتفاقنا فأنت مخطئة.

- أتعني أنك لن تهتم؟

- لو أنني لست مخدوعاً بك، ربما يا جميلتي، ولكن كما هو واقع...

واستدار عنها قائلاً:

- نامي جيداً يا عروسة المستقبل.

وظلت مستلقية على الفراش لمدة طويلة تحدّق بالباب المغلق والألم يمزق قلبها.

واستفاقت متأخرة في الصباح التالي، وكان قد غادر المنزل منذ فترة طويلة قبل أن تستيقظ، وشهقت السيدة برونسون عندما لاحظت شحوب وجهها واقترحت عليها يوماً من الراحة، ولكن لوسي لم تكن تتصور شيئاً اسوأ من قضاء ساعات طويلة صامتة في غرفة نومها، تتأمل في السقف، تحاول أن تجد طريقة للهروب من الورطة العاطفية التي علقت بها.

ونزلت لتعمل في الحديقة بضع ساعات. كان يوماً مليئاً بالرطوبة والسماء تنذر بالمطر والريح باردة، ولكن الهواء المنعش والتمرين، ساعداها على الانتعاش.

وبعد الغداء، ذهبت لزيارة ماتيو وكانت تتوقع أن يسألها عن سبب فرارها بترك العمل في الشركة، ولكنه نظر إلى الأمر على أنه طبيعي بسبب خطوبتها، وقالت له:

- عليك الآن أن ترتاح!

فابتسم لها برضى:

- سأحصل على راحتي من الآن وصاعداً، لقد أنهيت التعامل مع كل المشاكل العالقة، وكل ما أحتاجه الآن أن استعيد قوتي لحضور الزفاف.

وتفرس في وجهها:

- ربما عليك أن تفعلي مثلي، تبدين كالشبح، وأريد أن أراك بكامل عافيتك.

- لو استخدمت كل عافيتي الآن، لن يكون لديّ ما يكفي للزواج، لقد قال مارك ان والدته قادمة إلى انكترا في وقت قريب، وفكرت أن أدعوها لتسكن معي في «بريوري».

- هذا رائع، ستكون أفضل رفيقة لك.

ومرت الأيام متثاقلة، ولوسي متأرجحة ما بين الضجر والوحدة، وتلقت بعض الاتصالات الهاتفية من جيرمان، أكدت لها أن الشركة انقلبت رأساً على عقب، من الأسفل حتى الأعلى، وبدا لها جيرمان منزعجاً، وحتى عدائياً، وهكذا امتنعت عن الضغط عليه لمزيد من التفاصيل... ولم تذكر له كارين فوكسهول، أملاً في أن تكون هذه العلاقة قد أصبحت من الماضي.

واتصل بها ايربي غولمان أيضاً، ولكن لوسي كانت في الخارج تتمشى، وقررت أن لا تردّ على مكالمته، فقد بدا لها ذلك أفضل من عدة نواحي.

ولكن لم تكن شركة «هارولد بانهارد» الوحيدة التي انقلبت رأساً على عقب...

كل يوم كانت تنتظر ان يتصل بها مارك... وعندما لا يحدث هذا، كانت تبقى متوترة ومنتظرة إلى المساء، متوقعة ظهور سيارته، ولكن هذا لا يحدث أيضاً، على الاقل كان يجد الوقت الكافي ليتصل بالمستشفى يومياً، كما اكتشفت، وعندما يعود إلى المنزل، لن يكون هناك أي سبب في الدنيا يمنع إتمام الزواج، وخفق قلبها بمزيج من الفرح والرعب. هذا بالطبع إذا كان هذا الزواج سيتم. ربما هذا الصمت الطويل منه يعني أنه

يفكر ثانية باتفاقهما، وأنه يتردد في إعلان قراره أمام ماثيو الذي يتماثل تماماً للشفاء.

كانت تعمل في تشذيب الورود في الحديقة عندما أبلغتها السيدة برونسون أن مكتب السيد ايڤانز يريد التحدث معها على الهاتف.

وأسرعت راكضة إلى المنزل وصدمها سماع صوت السيدة بروس الودود يحييها:

- كيف حالك آنسة بانهارد! اضطر السيد ايڤانز للسفر إلى اميركا، ولكنه أراد أن يبلغك أن والدته ستصل يوم الثلاثاء، وأنها ستقيم حفلة عشاء صغيرة في الفندق حيث ستقيم، ويأمل أن لا تكوني مشغولة في هذه الأمسية.

- لا... لا بأس بهذا الموعد، في أي فندق ستنزل؟.

وأعطتها السيدة بروس المعلومات اللازمة. ولكن لوسي لاحظت بعض التعجب في صوتها، فربما اعتقدت أن عليها معرفة أين ستنزل حماتها المستقبلية.

واتصلت لوسي بجولي فيما بعد ورتبت معها أمر استضافتها في الشقة لأمسية الثلاثاء.

- يمكنك الهرب إلى عندي إذا شئتي... كيف هي والدته؟ أهي رائعة؟.

- لست ادري... أعتقد أن الزمن وحده سيظهر هذا.

- بالطبع... أنا أنسى دائماً أن ما جرى ليس خطبة تقليدية، ففي ظل ظروف عادية ستتعرفين على كل عائلته وأصدقائه. ولا بد أنه مشغول كثيراً، فقد قال لي رئيسي اليوم إن أسعار أسهم «هارولد بانهارد» قد ارتفعت بشكل لا بأس به في الواقع، أنت ستتزوجين رجلاً ناجحاً يا حبيبتي، ألست سعيدة؟.

ـ أظن أن أفضل وصف لمشاعري الآن أنها مختلطة.

بحلول مساء الثلاثاء، كانت المشاعر المختلطة قد أصبحت متوترة.

وسافرت إلى لندن بعد الظهر، واستقبلتها جولي بفرح وترحاب. كم هذا غريب... أن تعيش مع جولي طوال أشهر، وعلاقتهما تبقى سطحية... والآن فقط، بعد أن افترقتا، تكتشفان مدى حبهما لبعضهما. واستحمت، ولفت نفسها بروب جولي، وأخذت وقتها لتضع المساحيق على وجهها، وما كادت تنتهي حتى سمعت جرس باب الشقة يرن. ففتحته منتظرة أن ترى مارك.

ـ جيرمان؟ يا إلهي... ماذا حدث؟ هل هناك أي حادث؟.

كان وجه جيرمان وكأنه قناع من الدم، وعلى قميصه بقع كبيرة من الدم وسترته الملطخة بالوحل. وكان ايربي غولمان يسنده كي يقف، وقال ايربي:

ـ ما من حادث، إنه بحال جيدة، ولكنه تعرّض للضرب، لقد كنت في المقهى إلى جانب المكتب وعندما خرجت منه سمعته يتأوه، ووجدته ممدداً في زقاق مهجور.

ـ كان يجب أن تأخذه إلى المستشفى.

وهز ايربي رأسه:

ـ لقد رفض، وأصّر على أن يأتي إلى هنا، مع أنني ذكّرته أنك في الريف.

وقالت جولي من خلف لوسي:

ـ الأفضل أن تدخله، ضعيه على الصوفا يا لوسي، ويجب أن نستدعي طبيبه.

وقال جيرمان فجأة:

ـ لا... ليس طبيبي... لا أريده أن يراني على هذه الحال.

وقاده ايربي إلى غرفة الجلوس، حيث انهار على الصوفا وهو يتأوه، وعضّت جولي على شفتها وقالت:

ـ سأتصل بطوني، فشقيقي يعمل في مستشفى لندن التعليمي، وإذا لم يكن في عمله فأنا أعرف أنه سيأتي.

والتفتت إلى جيرمان سائلة:

ـ هل هذا جيد؟ نستطيع أن ننظف هذه الجروح ولكن يجب أن نتأكد أن جروحك ليست بليغة.

وردّ عليها بصعوبة «أجل».

وركعت لوسي على الأرض إلى جانبه وأمسكت بيده.

ـ يا حبيبي المسكين... كم هذا فظيع! هل شاهدتهم؟ وهل تتمكن من معرفتهم ثانية؟.

وضحك جيرمان وهو يردّ عليها:

ـ إنه فوكسهول... كان ينتظرني... وبدا لي غير خطر في البداية، ثم هجم عليّ، فوقعت... وأخذ يركلني.

وظهرت على وجه ايربي نظرة خوف، فنظر إلى ساعته، وقال:

ـ إذا لم يكن هناك ما أستطيع أن أفعله يا لوسي، أظن أن عليّ الذهاب، فلدي ارتباط لهذه الليلة... وسوف أتأخر...

وقفزت لوسي واقفة وقالت له:

ـ أجل... بالطبع... لا يمكنني شكرك بما يكفي... لقد كنت لطيفاً جداً.

وردّ عليها وهي تفتح الباب له:

ـ لا تقلقي، صحيح أنني وجيرمان لسنا أصدقاء كثيراً، ولكن بإمكانك الاعتماد على كتماني للسر، لأجلك إذا لم يكن لأجله، لا لزوم لأن تبدو عليك الصدمة يا عزيزتي، كان محتماً أن يقبض عليه زوج غاضب ويوسعه

ضرباً، ربما هذا سيعلّمه درساً هو بحاجة له.

وتنهدت لوسي، وابتسمت له:

- ربما... شكراً لك ثانية.

وقال لها بصوت منخفض:

- سأفعل أي شيء من أجلك يا لوسي، وأنت تعرفين هذا.

وأمسك بيدها ومرّر أصابعه على جلدها:

- هل أنت مصممة على المضي إلى النهاية بهذا... الزواج؟ هل هناك شيء أستطيع قوله أو فعله لإقناعك؟.

وحررت يدها منه بلطف، ولكنها قالت بحزم:

- لا شيء يا ابربي، أنا آسفة، لا لزوم لأن تذكرّني بتصرفي السيء معك...

- أنا لم أقصد هذا. أنا أقول لك فقط يا عزيزتي، إنك إذا احتجت إلى وسيلة خلاص، فأنا مستعد لتوفيرها لك.

وصمتت قليلاً ثم قالت بقلق:

- ليس هناك من خلاص... ولا يمكن أن يكون.

- أنت تخبينه؟ يا إلهي!.

- وهل هذا أمر لا يصدق؟.

- أوه... أنه نذل وسيم... ولا أظن أن أحداً يشك في هذا، ولكن يا إلهي... إنه دون رحمة! لم التق بمن هو مثله، العشرة أيام الماضية كانت ثورة في الشركة!.

وأحنت لوسي رأسها وتمتمت:

- لا حاجة لأن تقول لي هذا.

- عمت مساءً يا عزيزتي.

وعادت إلى غرفة الجلوس، وكانت جولي تمسح الدم عن وجه جيرمان

بقطع من القطن المغموس بالماء الساخن والمطهر، ونظرت جولى إليها قائلة:

- يبدو هذا رهيباً... ولكنني أظن إن السبب نزيف في الأنف، ويبدو أن أحد أسنانه مكسور. ولكن شقيقي في طريقه إلى هنا، وسنعرف عندها أكثر، ولقد طلبت منه إحضار ثياب معه فهما من نفس القياس.

- جولي... دعيني أفعل هذا عنك.

- لا بأس، أستطيع القيام بهذا إلى أن يصل طوني، إضافة إلى أنك يجب أن تتحضري للذهاب، مارك سيصل في أية لحظة، ويتوقع أن يجدك جاهزة.

وتلوى جيرمان في مقعده وقال وأنفه ينزف، وشفته مشقوقة:

- ايفانز قادم إلى هنا؟ يا إلهي... هذا كل ما أنا بحاجة إليه! لا أريده أن يراني ولا يجب أن يعرف بهذا الأمر، هل تسمعين؟.

وقالت له لوسي متوترة:

- أجل... سمعتك، مع انني أؤكد لك إنها لن تكون مفاجأة له، سأذهب لأحضر نفسي على الفور حتى لا يكون له عذر للدخول عندما يصل.

كانت ترش على نفسها بعض العطر عندما سمعت جرس الباب واسرعت إلى الباب تفتحه وقالت لمارك:

- أنا جاهزة.

- لاحظت هذا، أنت فاتنة يا جميلتي، ولكنك على غير طبيعتك، من تحاولين أن تخدعي؟.

- ليس أنت بالطبع، بل والدتك، فقد يكون في رأسها بعض الأوهام.

- ليس كثيراً، ألن تقدمي لي القهوة، ولا أي مشروب؟.

- لا أظن أن لدينا الوقت الكافي، ألا يجب أن نذهب؟.

- كما تريدين.

وكانا عند المنعطف عندما مرّت بهما سيارة طوني القديمة، فشاهدها ولوّح لها بيده... فقال لها مارك:

- هل هو صديق آخر لك؟.

- إنه شقيق جولي، إنه طبيب.

- وهل يقوم بزيارات منزلية في مثل هذه الساعة؟.

- إنه يزور شقيقته دائماً، أعتقد أنك تتساءل كيف عدت إلى الشقة...

- لا... اكتشفت أنه أفضل أن لا أتساءل عن أسباب كل تصرفاتك.

- إذاً فلن أحاول أن أشرح لك.

- أشك في أنك تستطيعين، ولكننا لن نناقش هذا الآن، فوالدتي تتوقع وصولنا قبل الوقت المحدد، ولا أريد أن أخيّب أملها.

وأحست بالارتجاف، لم تكن تتوقع غزلاً ولا كلمات حنونة منه، ولكن ليس هذا الكلام البارد القاسي.

يا إلهي! أي أمل يرتجى من مثل هذه العلاقة التي تجمع الحب من جانب واحد، مع عدم الثقة من الجانب الآخر؟.

وعلمت، بشيء من الرعب، أن لا أمل إطلاقاً...

●●●

٨ - الحياة بدونه

- خلال الوقت الذي استغرقه وصولهما إلى جناح السيدة ايفانز في الفندق كانت لوسي تحسّ بتجمد في تفكيرها، فهي لم تتبادل كلمة مع مارك، خلال رحلتهما، الأمسية لم تبدأ بعد وها هي قد أصبحت كابوساً لها، وما حدث لجيرمان جعلها غير واثقة من قدرتها على إكمال سهرتها على ما يرام.

والدة مارك كانت امرأة طويلة سمراء جداً كابنها، شعرها يتموج بالشيب بشكل جذاب، وحول عينيها خطوط ضاحكة عميقة، وكانت ترتدي فستاناً فاخراً من الحرير العنبري اللون.

وعندما خطت مع مارك إلى داخل الغرفة، أقلبت والدته لتحييهما، ولكن ابتسامتها كانت رسمية، وتصافحتا وتبادلتا التحيات، ولكن الدفء المفترض أن يكون بينهما كان غائباً، وشعرت لوسي بهذا.

وفي ظل هذه الظروف ارتاحت لوسي لأن السهرة لن تكون ثلاثية فقط، فقد كان هناك آخرون لتتعرف إليهم... ابنة عم للسيدة ايفانز، سمينة ومرحة مع زوجها، عرابا مارك وكلاهما محاضران في الجامعات، ورجل طويل ضخم تبين لها أنه المدير الأميركي لمؤسسة ايفانز العالمية في الولايات المتحدة، رافق مارك إلى بريطانيا في رحلته الأخيرة.

كان اسمه كليف براندز، ووجدته لوسي مسلياً وسهل الحديث، ولكن

www.rewity.com

الحديث معه أصبح محرجاً قليلاً بعد أن أخذ يحدثها عن معلومات حول مجريات العمل في «ايڤانز العالمية» و«هارولد بانهارد» وهي معلومات لم تكن تعرفها.

وقُدمت المرطبات، وتحدثت السيدة ايڤانز مرحبة بلوسي الزوجة المستقبلية لمارك، ثم بدأ تبادل الحديث بين الجميع وتعالت الضحكات، شارك فيها مارك وهو يقف وذراعه تحيط بكتفي لوسي، وأحسّت كم أن لمسته غير حميمة، وكأنه غريب، واضطرت إلى الابتسام بدورها وهي تدعو الله أن لا ينظر أحد إلى عينيها.

بعد ذلك نزل الجميع إلى المطعم، وبعد العشاء توجهوا إلى النادي الليلي للرقص. ووجدت هناك الكثير ممن تعرفهم، وأقبل الكثير منهم نحو طاولتهم لتهنئتها بخطوبتها.

وشعرت بالسعادة عندما قاربت الحفلة على النهاية في ساعة مبكرة، فقد كانت تحس برأسها يكاد ينشق، من محاولاتها للظهور بمظهر متألق، بينما هي في الواقع تتمزق.

وخلال الانتظار القصير لقدوم السيارات تقدّمت لوسي من السيدة ايڤانز وقالت لها:

ـ سيدة ايڤانز، كنت أتساءل إذا كنت ترغبين في الإقامة معي في بريوري ليوم أو يومين، الريف كئيب وبارد في مثل هذه الأيام، ولكنه جميل... أو هكذا أعتقد.

ـ أجل... بالطبع تعتقدين هذا.

والتقت عيناها السوداوين بعيني لوسي بنفس برودة عيني ابنها:

ـ هذا لطف منك بالطبع... ولكنني لم أتخذ بعد القرار النهائي بخصوص إقامتي هنا.

أي... بكلمات أخرى لا... لقد قامت بواجبها ولا تعرف ما يمكن

أن تفعل غير هذا، وتحركت نحو مارك ولمست ذراعه، فالتفت إليها فوراً وقال:

ـ أنا آسف لإبقائك منتظرة... هذا آخر ضيوفنا في طريقه للمغادرة، وكليف يقيم في نفس الفندق مع والدتي، وهكذا نستطيع أن نتشارك التاكسي التالي.

ـ هل أستطيع العودة رأساً إلى الشقة... أنا تعبة.

ـ في مثل هذه الساعة؟ كنت أظن أنك فتاة ترقص حتى ساعات الصباح سبع ليال في الأسبوع.

وهزّت رأسها محاولة الابتسام، حتى سخريته منها أفضل من هذا البرود الرهيب.

ـ لا يجب أن تصدق كل ما يُكتب في الجرائد.

ـ أنا لا أفعل هذا، أصدّق ما أراه وأسمعه بنفسي، ولا بأس إذاً، سأعتذر من والدتي وكليف وأعيدك رأساً إلى شقتك.

ـ لا حاجة بك لاصطحابي، المكان لا يبعد كثيراً من هنا و...

ـ أعرف تماماً مكان الشقة، وأعرف كذلك أنك لا تريديني أن أذهب إلى هناك... لماذا يا لوسي؟ ماذا تخبئين؟.

ـ لا شيء.

لا بد أن طوني قد نصح جيرمان بالبقاء حيث هو للراحة، وإذا وجده مارك هناك، ستحصل بينهما مواجهة، وجيرمان متعب، وخاسر وبالتأكيد تستطيع حمايته من تهجمات مارك عليه. وسمعته يقول:

ـ إذاً ليس من مانع يمنعني من الذهاب معك.

ـ لا... ما عدا إنني فعلاً تعبة، لقد أتعبت هذه الأمسية أعصابي و...

ـ وبالطبع هذا هو السبب الوحيد لعصبيتك... ما بك يا لوسي؟ هل

أنت خائفة أن أفرض عليك متطلباتي غير المرغوب فيها؟.

وأجبرت نفسها على هز كتفيها وكأنها لا تكترث.

- ربما... فأنت لم تحافظ على وعدك في السابق.

- إذاً نحن زوج فريد من نوعه، ايتها المخادعة الصغيرة.

واستدار مبتعداً عنها. وتحركت بدورها لتودع كليف براندز، ولمحت السيدة ايڤانز تراقبها بفضول، فعلا الدم إلى وجنتيها، والدة مارك لم تحبها، ولا بد أنها لاحظت انصراف مارك الفجائي عنها، وقد استنتجت منه أمورا كثيرة، ولم تشعر بالارتياح حتى وصل التاكسي، وأصعدها مارك فيه، ومالت إلى الأمام، وقدّمت خدها لـه ليقبّلها قبلة المساء كما هو متعارف عليه.

وقالت له بلهجة متوسلة «مارك؟» فتراجع عنها وكأنها أنشبت أظافرها فيه، وردّ عليها بسرعة:

- لا أظن أنني سآتي معك.

وتراجعت لوسي في مقعدها، متمنية أن لا تبكي بينما كان يدفع الأجرة للسائق، ويعطيه العنوان، ثم يبتعد دون أن ينظر إليها.

كانت جولي مستيقظة عندما عادت إلى الشقة، ودقّت لوسي باب غرفة نومها ودخلت، فوضعت جولي الكتاب الذي كانت تقرأه من يدها وسألتها:

- كيف كانت السهرة؟.

- لا تسألي، ماذا قال طوني عن جيرمان؟.

- لن يكون منظره جميلاً يوم أو يومين، ويحتاج لزيارة طبيب أسنانه، ولكن ما عدا ذلك لم يتأذى كثيراً، لم نقل لطوني ما حدث، فقط أن جيرمان وقع، وأخذه طوني معه إلى شقته ليراقبه.

- جولي أنا آسفة، لسيت أدري ما الذي دفع جيرمان للمجيء إلى هنا،

إنه يعرف تماماً أنني لم أعد أسكن هنا، ولم يكن يعرف أبداً أنني سأكون هنا هذه الليلة.

- لا تعتذري... أعرف كل هذا، ومع ذلك فهو يجيء إلى هنا، إنه يأتي إليّ يا لوسي، أنا أميل إليه، حتى ولو جعلني هذا أبدو كالبلهاء... أنا لا اقول لك شيئاً لم تكتشفيه بعد.

- لا... ولكن... جولي...

- لا أعلم تماماً كيف حدث هذا لي... كنت أعلم عن علاقته بكارين فوكسهول، وعن كل السيدات الاخريات، ولكنني لم أهتم، وأتمنى لو أنني اهتممت، إنه محظوظ بأن السيد فوكسهول لم يقتله، وأظن أنه يعرف هذا، مع إنني لست واثقة أن هذا سيؤثر على طريقة حياته... إنه ممتن لي الآن، وخجل قليلاً من نفسه، ولكن هذا قد لا يدوم.

شقيقها رجل لا مبالٍ، وعلى الارجح سيبقى هكذا، وجولي تستحق أفضل منه، وقالت لها جولي:

- بالمناسبة، عليّ أن أحذرك بأنه ولأسباب خاصة يعرفها جيداً، يلوم مارك على ما حدث له الليلة، من الواضح أن كارين تخلصت منه بعد أن علمت بما حدث في الشركة، ثم اعترفت لزوجها كي تنقذ نفسها. ويشعر جيرمان بأنه لو بقي مدير المبيعات في الشركة لما حدث له كل هذا.

- إذاً إنه يخدع نفسه... في الواقع لقد حذّرني مارك منذ فترة أن السيد فوكسهول يشك فيه. وكنت سأبلّغه التحذير، ولكنني فضّلت أن لا أقول شيئاً، ولست واثقة من صواب ما فعلت.

- أظن أنك كنت على حق، من سوء حظ جيرمان أن الرجل الذي استلم الشركة يمتلك السلطة والجاذبية، وهذه تركيبة يحسده عليها، ولكن عليه أن يتكيف مع هذا الواقع، وأن مارك ايڤانز يساويه مرتين حتى ولو وصل إلى الدرجة التي يطمح إليها.

- أتظنين هذا؟ إذاً... فلماذا...؟.

- لماذا أحببته؟ لقد سألت نفسي هذا في عدة مناسبات، ولكن انت من بين كل الناس التي يجب أن تفهمي يا لوسي، فنحن لا نستطيع التحضير لمثل هذا... إنه يحدث فجأة.

- أجل... إنه يحدث فجأة.

ومالت لوسي إلى الأمام فقبّلت صديقتها، ثم ذهبت إلى غرفتها وأمضت وقتاً طويلاً مريراً قبل أن تنام.

وألقى عليها ماثيو أسئلة متلهفة عندما زارته في الصباح التالي. فقد كان يريد أن يعرف كل شيء عن حفلة العشاء، وعن رأيها بوالدة مارك.

- إنها رائعة... وجذابة جداً.

فابتسم برضى وقال:

- كنت أتمنى أن تعجبا ببعضكما، لقد مضى عليك زمن طويل دون رعاية أم، يا حبيبتي وسيكون رائعاً أن تملأ السيدة ايثانز هذا الفراغ في حياتك، المشكلة أنها تعيش في جنوبي فرنسا، ولكن ربما بعد أن يبدأ الأحفاد بالوصول، ستعود إلى هنا

- انت لا تطاق! يجب أن تتوقف عن التلاعب بمصير الناس.

- لقد نجحت في هذا العمل حتى الآن، وعليك أن تكوني أول من يعترف بهذا.

هل يجب عليها أن تعترف؟ أوه... يا ماثيو... لو أنك تعلم.

وحوّلت مجرى الحديث إلى مناقشة أمر عودته إلى المنزل، متجنبة أي ذكر لعلاقتها مع مارك أو الزواج.

عندما أوقفت لوسي «الميني» أمام المنزل لاحظت أن سيارة أخرى كانت متوقفة هناك، ودهشت لرؤية سائق بلباس رسمي ينزل منها، ويفتح الباب الخلفي ويساعد السيدة ايثانز على النزول، وابتسمت للوسي:

- مرحباً، اعتقدت أنني يجب أن ألزمك بدعوتك، ولكن إذا لم يكن الأمر مناسباً فلا تترددي بالقول لي.

- بالعكس إنه أمر مناسب جداً، ولكنني لم أتوقع...

- أن تريني ثانية؟ قد يكون معك حق، وأنا أعترف بهذا.

- تفضلي بالدخول... سأطلب من مدبرة المنزل أن تحضر الشاي.

ونظرت السيدة ايثانز من حولها وقالت:

- لا داعي للعجلة، أحب أن تريني الأراضي حول القصر أولاً؟ أنت محقة بما قلتيه عن الريف.

وشعرت لوسي وكأنها في حلم وهي ترافق السيدة العجوز، وبينما كانت السيدة ايثانز تسألها عن تنسيق الحدائق والنباتات المختلفة المزروعة لإعطاء اللون والحياة لهذا الوقت من السنة الذي عادة ما يكون دون حياة، كان توتر لوسي يتلاشى.

وبدا واضحاً أن السيدة العجوز تحب الحدائق، وتحدثت بحماس عن مختلف أنواع الزهور وعن تأثير المناظر الطبيعية عليها، وأضافت:

- ولكن بالطبع ستشاهدين كل ذلك بنفسك عندما يأتي بك مارك لزيارتي كما آمل أن يفعل. أفكر بأن أسافر إلى مكان آخر وأترك لكما الفيلا لقضاء شهر العسل، لو استطعت أن أقنع مارك بتأخير الزواج إلى الربيع، ولكنه مصمم على أن يتم الزواج بأسرع وقت ممكن.

وقالت لوسي بقليل من السخرية:

- هل هو مصمم حقاً؟.

فابتسمت السيدة ايثانز:

- ربما حان الوقت لأشرح لك سبب قدومي إلى هنا، وهناك عدة أسباب، لقد قررت قبل ليلة أمس أنك غير مناسبة لولدي، وأتيت إلى انكلترا بصراحة كي أوقف الزواج، ولكن... ليلة أمس... رأيتك

تنظرين إليه وأنت تظنين أن لا أحد يراك. وبدا لي أنك تحبينه وأنني قد أسأت الحكم عليك، هل أنا على حق؟.

- لا اعتقد أن من حقك أن تسأليني.

- ليس من حقي؟ أنا والدة مارك وأنا أحبه ايضاً.

- ما من أحد يشك في هذا، ولكنني أؤكد لك أن مشاعري لا تهم، فأنا لا أنوي الزواج منه.

- فهمت... ولكن هذا ليس ما فهمته منه، وأعتقد أن ليس عندك الخيار في هذه المسألة.

- هناك دائماً خيار، وجدي تتحسن صحته، وسوف يكون بصحة جيدة عن قريب مما سيمكنني من قول الحقيقة له، بأنني لا أستطيع إجبار نفسي على إتمام الزواج.

- ولكن هل تستطيعين فعل هذا حقاً؟ مما قاله لي مارك... اعتقدت...

- لا يهم ماذا قال، ليس بيننا أية التزامات... أبداً ربما كنت أعيش في حلم مزعج مجنون، وأنني استيقظت منه الآن، لقد انتهى.

- تبدين وكأنك تحاولين إقناع نفسك، ولكن هل أنت واثقة بأنه بالإمكان التصرف كما تخططين؟.

- أتعنين أن مارك قد لا يكون مسروراً من رفضي له؟ ليس من الضروري أن يكون الأمر هكذا يمكنه أن يرفضني، إذا كان كبرياء رجولته يتطلب هذا، ولكنني لا أظنه قد يهتم... ما دام سيتخلص مني.

- إذاً أنت مهتمة به.

وكان هذا تقرير أمر واقع، وليس سؤالاً، وأدارت لوسي رأسها:

- لم يعد الأمر يهم، سيدة ايڤانز، لطف منك أن تأتي إلى هنا اليوم، ولكنني لا أظن أن زيارتك قد حققت شيئاً، إلا إذا كان يهمك أن تعرفي

بأنني لا أنوي الزواج من ابنك، لقد قلتي إن لديك أسباباً تجعلك لا تريدين هذا الزواج وأنا موافقة أنها أسباب مهمة.

- كانت تبدو مهمة، عندما أعلنت خطوبتكما بدأت أتلقى اتصالات من كل أصناف الناس، وكلهم يبلغوني بأخبار سيئة، وكنت قد علمت من مارك أنك حفيدة ماثيو بانهارد، وأن زواجه منك جزء من اتفاقية توصّل إليها معه، وهذا ما أرعبني، وتوسلت إليه أن يعيد النظر، ولكنه قال إن الوقت قد فات، ثم بدأت المكالمات، بعض منهامن أصدقاء قلقون حقاً، قالوا إنك... سيئة السمعة، وإن شقيقك زير نساء مغامر، ولم يكن هناك أي سبب لكي لا أصدق، وقالوا إنكما تعيشان عيشة اسراف لم تستطع الشركة تحمل أعبائها، وإن هارولد بانهارد قد أفلست تقريباً بسببكما، وإنك كي تنقذي نفسك من الفقر أقنعت جدك بأن يشتري لك زوجاً ثرياً بما بقي عنده... الشركة، وقالوا بأنك مرتزقة دون قلب.

وهمست لوسي:

- يا إلهي! لا عجب أن تصرفتي معي هكذا ليلة أمس!.

- كنت مستعدة لتبرئتك من كل هذا، فلم أكن لأتصور أن مارك قد يبيع نفسه لأي شخص بهذه المواصفات، ولكن عندما وصلت إلى هنا، رأيت بنفسي كم هو تعيس، وكم قلبه معذب.

وتنهدت السيدة ايڤانز وتابعت:

- لم أشاهده هكذا من قبل، وصُدمت... واقتنعت بأن كل ما سمعته هو حقيقي، وكان سهلاً أن اكرهك، مع أنك كنت بعيدة جداً عما كنت أتوقع، ظاهرياً على الأقل، أنت شابة أكثر، ولست محنكة كما تصورتك، وهكذا بدأت أتساءل، ثم رأيتك تنظرين إليه وأدركت أنني مخطئة، أرجوك لا تدعيني أؤمن بأنني أخطأت ثانية.

وعضت لوسي شفتها، وقالت بصوت منخفض:

ـ أنا أحبه... ولكنني لن أتزوجه... كان جنوناً مني أن أفكر بهذا وسأقنع جدي بطريقة ما.

ونظرت إليها السيدة ايڤانز نظرة مباشرة وحادة:

ـ وماذا عن مارك؟ كيف ستقنعينه؟.

واحمّر وجه لوسي:

ـ لست أرى أية مشكلة، فهو ليس مسروراً لقبوله بهذا الزواج وأنا آخر امرأة في الدنيا قد يختارها لنفسه.

وتنهدت السيدة ايڤانز:

ـ لا بد أنه عاملك بشكل سيء.

ـ لقد كان... هذا... خطأ منذ البداية... لم يكن هناك أية فرصة للنجاح.

ـ ولست مستعدة لإعطائه هذه الفرصة؟.

ـ الأمر ليس بيدي لوحدي.

وتطلعت نحو السماء وقالت:

ـ أظن أنها ستمطر، هل نعود إلى المنزل لتناول الشاي؟.

ـ أجل سيكون هذا لطيفاً جداً.

وبدت السعادة على وجه السيدة ايڤانز، والابتسامة التي أعطتها للوسي كانت رائعة. وفي طريق عودتهما، حرصت لوسي على أن يستمر الحديث في مواضيع مختلفة، فقد أذهلتها صراحة السيدة ايڤانز لأنها لم تكن تتوقعها أبداً، وربما لن تلتقيا ثانية، وهذا سيكون مؤسفاً لها، لأنه بدا لها الآن أنهما كانا من الممكن، وفي ظروف أخرى، أن تصبحا صديقتين.

وعندما وصلتا إلى زاوية المنزل قابلتهما السيدة برونسون ووجهها السمين تغطيه الدموع وشاحب.

ـ آنسة لوسي... أوه... آنسة لوسي! الهاتف... من

المستشفى!... أوه يا آنسة لوسي... يا عزيزتي...

وركضت لوسي إلى الباب قفزاً، وقد جفّ فمها وقلبها يقفز بين ضلوعها، وأسرعت متعثرة إلى المكتبة لتلتقط سماعة الهاتف، الصوت على الطرف الآخر كان لطيفاً، ولكن متحفظاً، وقال لها إن ماثيو قد أصيب بنوبة مفاجئة شديدة، ومع أن كل التقنيات الحديثة قد استخدمت، إلا أن المحاولات لإنعاشه لم تنجح، وهذا أمر مؤسف.

وحدقت ببلاهة في سطح الطاولة، وأصابعها تمسك بالغطاء الذي فوقها، وبدا لها مهماً أن تفعل هذا، لتتماسك وتحاول إعادة كل شيء في رأسها إلى بدايته، وإلا ستحدث كارثة... كارثة، وحاولت وضع السماعة مكانها وهي ترتجف، فأخذتها منها السيدة ايڤانز وسارعت لوضع ذراعها حولها، دافئة ومشجعة وقالت لها بحنان:

ـ يا فتاتي المسكينة... تعالي واجلسي... ستجلب لك مدبرة المنزل الشاي.

وأحسّت لوسي وكأنها ستتجمد من البرد، فقالت:

ـ يبدو أنني لن أستطيع التوقف عن الارتجاف.

ولم تعي إلا وهي ممددة على الكنبة في غرفة الجلوس، محدقة بنار المدفأة، وأدخلت السيدة برونسون الشاي وهي تبكي بصمت، بينما بدت السيدة ايڤانز تعبة.

وقالت لوسي وكأنها تكلم نفسها.

ـ ولكنه كان قد تحسن... كان يتحسن، كان سيعود إلى المنزل قريباً.

ونظرت إليها السيدة ايڤانز نظرة عطف:

ـ هذه الأمور تحدث فجأة أحياناً يا عزيزتي... وأنا واثقة أنهم فعلوا ما باستطاعتهم.

ـ أجل... يجب أن أكون سعيدة من أجله بطريقة ما، كان يكره تلك الآلات وكان يرغب في أن...

ـ لا... أنا واثقة أنه لم يكن يرغب في الموت... هل هناك شيء أستطيع فعله لك؟ يجب إبلاغ شقيقك بالطبع...

ـ أجل، ولكن الأفضل أن أبلّغه بنفسي، والأفضل الآن.

وأكملت السيدة ايڤانز:

ـ ثم سأتصل بمارك يجب أن يعرف، أليس كذلك؟.

ـ نعم... نعم... بالطبع... سأكون شاكرة لك.

وعادت إلى المكتبة وأغلقت الباب وراءها، محاولة تجميع أفكارها، من غير المجدي أن تحاول إيجاد جيرمان في الشركة، فلن يقترب من هناك حتى يشفى وجهه المتورم، وإذا لم يكن عند طبيب الأسنان فهو لا شك في شقته.

ورن الهاتف مرات ومرات دون جواب، وتمنت لو يكون جيرمان معها الآن، فهي بحاجة للحديث معه، وأن تشاركه مخاوفها وأول مشاعر الحزن، فهو سيتفهمها، فهو يحب جدها حتى ولو لم يكن بالقدر الذي تحبه هي.

وارتجف فمها، وتمسكت بطرف الطاولة... إنها تخدع نفسها، فكل شفقة جيرمان ستكون موجهة لنفسه فقط، كما كان دائماً، لقد كان يفكر بنتائج وفاة ماثيو على الشركة حتى قبل أن يموت، وبالتالي بنفسه.

مارك هو من تحتاج له، مارك وحده من تريده، ولكنها فقدته الآن إلى الأبد، فموت ماثيو أ احهما معاً من كل الالتزامات نحو بعضهما.

وانتزعها من أفكارها صوت سيارة تقف عند الباب، وظنت القادم جيرمان، أتى ليضمّد جراحه بسلام وأمان في بريوري، وحضّرت نفسها لملاقاته وهي تخرج إلى الردهة... أن تعلم بموت ماثيو أمر، وأن تبلغ

شقيقها بهذا الموت، أمر آخر، ووقفت في الردهة تنظر إلى الباب، وهي تستجمع قوتها وشجاعتها.

وفُتح الباب ودخل مارك، وهو ينفض قطرات المطر عنه، وشاهدها على الفور، وعقد حاجبيه بتقطيبة متسائلة، وقد لاحظ وجهها الشاحب وعينيها الزائغتين، فقال بخشونة:

ـ ماذا حدث بحق الجحيم؟ هل ازعجك أحد؟ أظن أن هذه سيارة والدتي في الخارج... لقد تركت لي رسالة أنها قادمة إلى هنا، وغادرت قبل أن أستطيع منعها...

فهمست لوسي:

ـ إنه ماثيو!...

وتراجع رأسه بحدة، وحدق بها قليلاً وهو يخرج نفسه من صدره بتنهيدة عميقة، وقال هامساً وبقلق:

ـ لقد كنت أخشى هذا منذ وقت طويل... الأفضل أن تجلسي قبل أن تنهاري، أنا هنا الآن، وسأتدبر كل شيء، وليس عليك أن تقلقي.

وكادت لوسي أن تضحك لهذا الكلام، وعضت على شفتها.

ـ شكراً لك... أنت لطيف... لطيف جداً، وكذلك والدتك، كانت على وشك أن تتصل بك... لتطلب منك أن تأتي إلى هنا.

ـ أنا واثق من هذا، ومن المؤكد أنك كنت ستفعلين الشيء نفسه يا لوسي، أليس كذلك؟.

ونظرت إليه، وعيناها الخضراوان مصدومتان فقال بأسف:

ـ أنا آسف... هذا ليس وقتاً مناسباً لبحث مشاكلنا الخاصة...

ووجهت لوسي نظرها إلى الأرض:

ـ بالعكس... بطريقة ما، هذه أفضل فرصة لي كي... أؤكد لك أن هذه... الخطبة لم يعد هناك حاجة لأن تستمر... في الواقع أرغب في

أن تتوقف الآن، وهنا.

وصمت مارك، وضاقت عيناه الرماديتان وهو يتفحصها... ثم قال:

- أنت تدركين ماذا تقولين.

- أوه... ولكنني أدرك، لقد عقدنا اتفاقاً لأجل ماثيو... وله فقط و... رحيله ينهي كل شيء.

وأمسكت الخاتم الماسي الكبير، وخلعته من أصبعها ومدت يدها إليه، ولم يتحرك ليأخذه، بل قال بهدوء:

- لا أعتقد أن هذا وقت مناسب للقرارات المتسرعة، فأنت مشوشة الفكر وبحاجة لوقت للتفكير.

- كان لدي الكثير من الوقت للتفكير، ولم يكن هناك شيء آخر أفعله منذ أن التقينا.

وشعرت برغبة جامحة في أن تركع على الأرض وتبكي، ولكنها لم تجرؤ على إظهار أي إشارة تنم عن ضعف، يجب عليها أن تجعله يصدقها:

- لا يمكنك الادّعاء بأنك تريد لهذه... الصفقة التي عقدناها أن تستمر، بعد أن زال السبب الذي دفعنا لعقدها.

وظنت أنه فوجيء، ولكن عندما تكلم كان صوته متماسكاً:

- لا... لن أدّعي هذا يا لوسي. ولكن هل خطر لك أن الوفاء برغبات ماثيو لا يمكن تجنبه، لقد كان مصمماً أكثر مما تظنين.

- ولكنني مصممة أكثر.

ووضعت الخاتم على الطاولة قرب باب غرفة الجلوس، وقالت:

- والدتك في الداخل، وسأطلب من السيدة برونسون أن تجلب المزيد من الشاي، ثم سأذهب إلى غرفتي لفترة، فأنا أريد أن أكون لوحدي.

وقال لها بهدوء بارد:

- كما تريدين...

كما أريد... أريدك أن تحبني، وأريد أن أتمكن من البقاء على صدرك وبين ذراعيك، أتمنى أن تكون حبيبي لأستيقظ صباحاً، وأجدك بقربي، وأعلم أنني لن أكون وحيدة مرة أخرى.

مرت بالردهة في طريق عودتها من المطبخ، كانت فارغة، ولكنها سمعت أصواتاً من غرفة الجلوس المقفلة.

خاتمها كان قد اختفى عن الطاولة، وهي تصعد إلى غرفتها شعرت كم تبدو يدها عارية من دونه.

عارية... فارغة كما هي الأيام... الأسابيع... الشهور التي تنتظرها الآن. دون مارك.

●●●

٩ - لا شيء يهم

انتهت مراسيم الدفن... المنزل كان مليئاً بالناس الراغبين في تقديم تعازيهم، ولكنهم الآن يغادرون، وأحسّت لوسي بالراحة لقرب نهاية هذه المحنة.

كان اليوم بارداً جداً، ونصحها جيرمان ان تبقى قرب النار وهو يودع المعزين.

خجلت من نفسها لأنها لم تعرف كم من الدموع التي ذرفتها كانت لأجل مائيو، وكم منها كان على نفسها، على وحدتها، وقلقها، حتى في حزنهاعلى جدها الذي أحبّته لم تستطع التخلي عن أنانيتها.

ولم يقل مارك أية كلمة حول موضوع فسخ خطبتهما، وكان يجب أن تكون مسرورة لهذا، ولكن إذا كانت صادقة مع نفسها، هو لم يقل شيئاً تقريباً له طابع شخصي، بل كان لطيفاً ومتفهماً مهتماً... ولكن بقي متحفظاً.

والدته لاحظت اختفاء الخاتم من يدها على الفور، ولكنها لم تقل شيئاً.

مع أن وجهها بدا عليه القلق، وكانت قد أمضت ليلتها في بريوري ولاحظت لوسي، بدهشة أن وجودها قد خفف التوتر ما بينها وبين مارك،

وما إن غادرت أمه المكان، حتى عاد يختبىء خلف قناع البرودة المتغطرسة التي أصبحت معتادة عليها.

والتفتت إلى المدفأة، كانت النار قد أوشكت أن تخبو، فركعت على الأرض لتضع الحطب، وفتح باب غرفة الجلوس ودخل جيرمان وقد بدا عليه التعب.

ـ هذا آخر شخص قد تركنا... شكراً لله... ظننت أن ايربي غولمان لن يذهب أبداً. دون شك كان يرغب في مقابلتك وجهاً لوجه.

ـ أتظن هذا؟ ولكن كان لديّ انطباع أنه كان يتجنبني.

ـ ليس أنت يا حلوتي... بل خطيبك السابق، وهناك شائعة في المكتب أنه سيستقيل عما قريب.

ـ سيكون أمامه الكثير من العروض من مؤسسات أخرى، جدي كان يقدّره كثيراً...

ـ أجل... ولكنه لن يحصل على نفس التقدير من ايڤانز، أكانت الخطبة ملغية أم لا، مسكين ايربي... كنت أتمنى لو أنك لم تخربي عليه مستقبله بالأمل فيك.

ـ هكذا إذاً... والآن دعنا نجد المحامي وننتهي من مسألة الوصية، هل تعرف أين هو؟.

ـ إنه ينتظرنا في المكتبة... لأسباب خاصة، ربما يعتقد أن تلك الغرفة مقدسة لقراءة شيء جليل كالوصية.

وتنهدت لوسي:

ـ هل يجب علينا حقاً أن نقرأها، وما الفائدة؟ نحن نعرف ما فيها.

ـ أعتقد أننا نعرف.

ـ بالطبع لقد أخبرنا بنفسه منذ سنوات، لا يمكن أن تكون نسيت.

ـ لم أنس ما قاله يومها، ولكن الكثير حدث منذ ذلك الوقت يا لوسي،

ألم يخطر ببالك أن هناك بعض التغييرات قد تكون حدثت؟ أم أنك لم تعلمي أن المحامي العجوز حضر إلى المستشفى عدة مرات بناء على طلب مستعجل من مائيو؟.

- لا... لم أعرف... ربما كان يريد أن يوصي بشيء لمارك، فقد كان يحبه.

- أجل هذا صحيح... أين ايڤانز الآن؟.

- لا أعلم، ربما في غرفته، يوضب ثيابه للرحيل، فوالدته ستعود إلى فرنسا، وسيرغب في قضاء بعض الوقت معها قبل أن تسافر، إضافة إلى أنه لم يعد لديه ما يبقى لأجله.

- لست أوافق معك على هذا، يا حلوتي... إنه مهتم بالوصية... من خلالك.

- لم يعد له شيء هنا... ألم تلاحظ هذا؟.

- طبعاً لاحظت اختفاء الماسة من يدك، واعتقدت أن الأمر له علاقة بحزنك على جدك.

ونظر إليها نظرة مخيفة:

- بحق الله يا لوسي! أنت لم تتصرفي بطريقة مأساوية... أليس كذلك؟.

- إذا اخترت أن تصف الأمر هكذا... أجل لقد فعلت.

وقال لها شقيقها بصوت حاد:

- إذاً أنت غبية يا عزيزتي، من بعض التلميحات التي قالها لي المحامي العجوز، فهذا أمر قد تندمين عليه، والآن لندخل المكتبة ونسمع ما سيقول.

كان مارك في المكتبة عندما دخلاها، وبدأ المحامي يقرأ الوصية، وكان فيهابعض التنازلات الصغيرة، بما فيها مبلغ سخي من المال لآل

برونسون، قبل أن يصل إلى الجزء المهم فيها، وذكر ما يختص بجيرمان أولاً، وكان كما شرحه لهما مائيو بنفسه، وسمعت اسمها، ونظرت إلى المحامي، بعد أن لاحظت تردده، وتنحنح المحامي قليلاً وقال:

- لست واثقاً يا آنسة بانهارد، إذا كان جدك أخبرك بمخططاته بالنسبة لحصتك من الوصية، وكما تعلمين كان في نيته ترك هذا المنزل لك وما يكفي من مال يوفر لك مدخولاً ثابتاً، إضافة إلى بعض الأغراض الشخصية، ولكن، على ضوء زواجك المرتقب، قرر أن يركز أكثر على المستقبل، ولذلك، فهذا المنزل والمدخول الذي ذكرته قد أوصى به كوقف لأولادك من السيد مارك ايڤانز، وكل هذه الوصية مشروطة بزواجك من السيد ايڤانز في غضون شهر واحد.

واحست بضجيج في أذنيها، وبدا وجه المحامي وكأنه يبتعد عنها مسافات طويلة، وقالت بصوت خفيض كطفل مهذب:

- أنا آسفة... لم أفهم تماماً ما قلته.

- وهل كان تفسيري لك غامضاً هكذا، إذاً الأفضل أن أقرأ لك الشروط كماهي مدونة هنا.

الكلمات القانونية الجافة لم تكن أسهل كي تفهمها، ولكنها أعطتها فرصة للتنفس، وأقنعتها بأنها حقيقة فظيعة مرعبة، عندما أنهى المحامي قراءة الوصية قالت:

- وإذا لم نحقق أنا والسيد ايڤانز هذه الشروط، ماذا يحدث؟.

ونظر المحامي إلى الأوراق وبدا محرجاً:

- سوف تستفيد عدة مؤسسات خيرية من ريع بيع المنزل ومن الأموال التي كانت ستعود إليك.

- بكلمات أخرى... أنا لن أحصل على شيء.

- بالعكس آنسة بانهارد، لست أدري أين المشكلة فأنت والسيد ايڤانز

مخطوبان، وفهمت من المرحوم أن زواجكما سيتم قريباً، وكل ما حدث أن ارثك وضع تحت الحراسة لأطفالك، وكما تعلمين آنسة بانهارد زواجك كان أعز أمنية على قلب جدك، وأفترض أن الأمور ستكون مرضية للجميع.

ومن الناحية الأخرى من الغرفة وكأنما من الناحية الأخرى للعالم سمعت مارك يقول:

ـ لا سبب أبداً، شكراً يا سيدي لشرحك لنا رغبات السيد بانهارد بهذا الوضوح، هل نستطيع إقناعك بأن تبقى معنا للغداء؟.

ـ أنا شاكر لك كثيراً، ولكن يجب أن أعود إلى مكتبي فلديّ مواعيد مهمة.

وبطريقة ما وجدت لوسي نفسها تصافح المحامي، بينما رافقه جيرمان ومارك إلى الخارج، وعادت لتغرق في كرسيها وتحدق أمامها في الفراغ وعاد جيرمان أولاً:

ـ إذاً... يا حلوتي..: لقد عدتي عروساً من جديد.

ونظرت إليه لوسي بذهول:

ـ كنت تعلم!.

ـ ليس بالتفصيل، ولكنني توقعت أن يجد طريقة ما ليحشرك في الزاوية، مائيو لم يكن أبداً يثق بأحد، ولا بد أنه عرف أن خطوبتكما لن تعيش أطول مما سيعيش هو.

وردّت عليه بوحشية:

ـ كيف استطاع فعل هذا؟ كيف استطاع؟.

ـ ليتأكد من حصول ما يريده، كالعادة، كان رجلاً عنيداً، ولن يترك شيئاً تافهاً كالموت يتدخل في إفساد مشاريعه للجنس البشري، أو على الأقل ما يتعلق به منها.

وضحك ضحكة قصيرة وتابع:

ـ مشكلتك الآن هي إقناع هذا العنيد السيد ايڤانز أن هناك تغيير رومانسي في قلبك نحوه، دون أن يكون هناك أسباب مادية، وأتمنى لك التوفيق.

ووقفت واتجهت إلى النافذة وقالت بصوت ترتجف:

ـ استطيع أن أطعن بصحة الوصية.

ـ على أي أساس؟ على أساس أن مائيو كان غير مالكٍ لقواه العقلية؟ هذا لن يفيدك يا عزيزتي، لقد بقي واعياً حتى النهاية، وأنت تعرفين هذا، وكذلك يعرفه كل من كان على اتصال به، لا... يا شقيقتي العزيزة، أن عليك الاستسلام للمحتوم، وهو في حالتك مارك ايڤانز، استخدمي قوة إقناعك، وستعود تلك الوصية إلى ما بين أصابعك قبل أن تشعري بها عائدة.

ـ لا استطيع... أفضل الموت!.

ـ كلمات شجاعة، ولكنك لا تستطيعين خداع أحد يا لوسي، فالمسدس في رأسك وهو محشو هذه المرة، وعليك أن تكوني عملية.

وتدخل صوت مارك عن الباب قائلاً:

ـ أجل... على المرء أن يكون هكذا بالفعل.

وبقيت لوسي واقفة، كما هي، ظهرها إليه،وقلبها يخفق بقوة حتى أنها شعرت بالمرض، وانتظرت أن يقول مارك شيئاً آخراً، ولكن الصمت في الغرفة طال، وبدأت تشعر بالتوتر، وأحست بالحاجة للصراخ.

ثم قال لها بنعومة:

ـ ماذا تنتظرين يا جميلتي؟ أن أعلن عن مشاعري، وأنا راكع؟.

ـ هذا صعب عليك.

ـ إذاً لتتبع نصيحة شقيقك ونلتزم بالواقع، فإذا لم نلتزم بما يطلبه

جدك، ستجدين نفسك دون منزل، ودون قرش واحد، هل توافقين على وصفي للموقف؟.

ـ أستطيع الحصول على وظيفة... أنا لست يائسة.

ـ لا... ولكنك بدون خبرة، ولن يعرض عليك أحد أية وظيفة بنصف الأجر الذي كنت تقبضينه من «هارولد بانهارد» هذا إذا استطعت أن تجدي وظيفة.

ـ أنا مدركة تماماً أنني معروضة للبيع.

ـ بالفعل... ولن تحصلي على عرض أفضل من عرضي يا لوسي، على الأسس الاقتصادية فقط.

ـ وما هي الأسس الأخرى التي يمكن أن تكون موجودة؟.

ـ لا شيء آخر، مايو وضعنا في مأزق حرج يا جميلتي، ولم يترك أمامنا أي خيار، ومع أن كلينا لا يرغب في هذا الزواج، فعلينا أن نتممه، ولكن لا يجب أن يكون كالحكم المؤبد، فلم يفرض مايو أي شرط لبقائنا متزوجان.

وتملكها الغضب، ولكنها تمكنت من السيطرة على نفسها وقالت:

ـ تجعل الأمر يبدو سهلاً، ولكنه ليس كذلك، فهناك شروط أخرى يبدو أنك نسيتها.

ـ أتعنين إيمان مايو القاطع بقدرتنا على إنجاب الأولاد؟ لست أرى لماذا لا ننجب أطفالاً.

ـ لا... ما عدا أنني لا أريد.

ـ وما هو الذي لا تريدينه؟.

ـ أن أنجب طفلاً لبيت لا يمكن أن يكون حقيقياً، وبيتنا لا يمكن أن يكون، ليس إذا كان تدبيراً مؤقتاً للوفاء بمتطلبات قانونية.

فصمت قليلاً وأجاب:

ـ هذه مسألة عادلة، هل يطمئنك لو أنني وعدت أن أي زواج بيننا سيكون فقط مجرد متطلبات قانونية؟.

ـ أنا... لست أدري. لا أستطيع التفكير بوضوح، يجب أن تعطيني وقتاً.

ـ لقد سمعت منك هذا من قبل، حسن جداً يا لوسي، خذي قدر ما أنت بحاجة له من وقت، حتى نهاية الشهر، بالطبع، وهكذا لن يتساءل أحد إذا أتممنا الزواج ببساطة وهدوء.

ـ أنت واثق جداً من نفسك، ومقتنع أنني سأوافق.

ـ أحب أن أصدق أن لديك بديل، ولكنك تحبين هذا البيت، وتمتعت دائماً بمستوى معين من المعيشة ولا أتصور أنك قد ترمين كل هذا...

ـ من أجل المبدأ؟ لا... هذا ليس طرازي... أليس كذلك؟ سأعلمك متى توصلت إلى قرار ولا شك أنك تود العودة إلى لندن الآن، لقد كنت لطيفاً معي.

وسمعت لوسي باب المكتبة يقفل، وببطء سمحت لنفسها بأن تسترخي، كانت متوترة خوفاً من أن يلمسها مارك، فقد يكون هذا بالنسبة لها مدمراً، وأدركت فجأة أنها لن تستطيع مواجهة أسئلة جيرمان، فخرجت من المكتبة، وصعدت إلى غرفتها، وجلست على حافة السرير، وحاولت أن تفكر بما حدث، ولكن هذا كان مستحيلاً، وشعرت بالتعب الشديد فاستلقت على الفراش.

فكرة أنها ستفقد منزلها والحياة المريحة التي تحياها لم يعد يبدو لها مهماً، لا شيء مهم الآن سوى أنها تحب مارك... وأنه في المقابل، قد أبدى عدم اهتمامه بوضوح «ولكنه كان يريدني... وأستطيع أن أجعله يريدني مرة أخرى» وتنهدت بصمت... لا يبدو الوقت مناسباً لمحاولة اجتذاب مارك إليها، ولكن ماذا يمكن لها أن تفعل غير هذا؟ أتقول له إنها

تحبه؟ تستطيع تصوّر ردة فعله جيداً، ملاحظات جيرمان كانت تزعجها، ولكنها اعترفت بأنه على حق، فلا يوجد رجل في مركز مارك قد يصدق مثل هذا الاعتراف.

ولم تدر كم مضى عليها هكذا وهي تقلّب جوانب المسألة مرات ومرات، لتجد حلاً، ثم تفشل، ولكن دقاً على بابها جعلها تقفز من مكانها، ونهضت بسرعة لتفتح الباب آملة أن يكون مارك. ولكن كانت السيدة برونسون التي لا زالت محمّرة العينين، رغم محاولتها أن تبتسم:

ـ الغداء جاهز آنسة لوسي، لا يوجد سواك مع السيد جيرمان، ولم يرغب في إزعاجك ولكن طلب أن أعطيك هذا.

وقدّمت لها مغلفاً، ثم انصرفت، وأحست بثقل المغلف في يدها، ففتحته وسقط الخاتم الماسي في راحة يدها وكأنه عالم من الدموع المتجمدة.

خلال الغداء بقيت صامتة، ولاحظ جيرمان بأنها كانت تدير الطعام في طبقها فقط، ولكنه لم يعلّق، وأخيراً دخلت السيدة برونسون لتقدم لهما القهوة فقال لها:

ـ كنت أفكر يا لوسي، بان الأفضل لي أن أعود إلى لندن، فهناك اجتماعات عليّ أن أحضرها، يمكنك القدوم معي إذا شئت، وتقيمي في شقتي، لا أتصورك وحدك هنا في الوقت الحاضر.

وأدهشها عرضه، جيرمان عادة لا يظهر مثل هذا الاهتمام، ولم يدعوها مرة للبقاء معه، وبعد تردد بسيط قبلت الذهاب معه. في لندن، يمكن أن تبقى مشغولة، وتتوقف عن التفكير قليلاً. تستطيع زيارة معارض الفنون، عدا عن الانشغال بالتحضير للميلاد، كذلك يمكنها أن تتسوق.

ومارك في لندن أيضاً، ولكن بما أن الأمور بينهما سيئة من الصعب أن تجد فائدة من هذا، وعضت شفتها لهذه الفكرة، وإذا فشل كل هذا،

تستطيع البحث عن وظيفة، مع أن أملها ضئيل، أو قد تجد مدرسة تدريب تستطيع الانتساب إليها، فهي ليست غبية ولا بد أن تجد لنفسها شيئاً تفعله بعيداً بالطبع عن الزواج من مارك.

عندما انتهى الغداء، صعدت إلى غرفتها بعد أن حثها جيرمان، وبدأت توضب بعض ثيابها في حقيبة، ونظرت حولها مفكرّة بما ستشعر به لو أنها فقدت «بريوري»، وأدركت فجأة أن الأمر لم يعد يهمها، لا شيء يهمها سوى حب مارك وحاجتها إليه، قد تتخلى عن كل شيء كي يبادلها هذا الحب، ولكن الأمر الآن أصبح مستحيلاً... هذه الوصية، الكريهة الفظيعة... كانت تتسع كالهوة بينهما، على عكس ما كان المقصود منها، وهمست بصمت:

ـ آه يا جدي!.

وانهمرت الدموع من عينيها ببطء في البداية، ثم بسرعة، وتسللت من بين أصابعها التي كانت تضغطها فوق وجهها، وكأنها تحاول منع تدفق البؤس.

لم تكن تعلم لماذا تبكي، ولكنها كانت بحاجة إلى هذا، ومع آخر شهقات البكاء، تمكنت من تجفيف عينيها ومسح آثارها عن وجهها، وأحست بأنها أفضل حالاً، وأقل حيرة ومرارة.

ودلّها جيرمان على محتويات الشقة، وخزانة المطبخ قبل أن يتركها ويذهب إلى المكتب. وحضّرت السرير الإضافي في الغرفة الصغيرة ووضعت عليه الشراشف والأغطية، ثم حضرّت لنفسها فنجاناً من القهوة، وأرادت أن تنظف الشقة، ولكنها كانت نظيفة وتحتاج فقط إلى ترتيب، وأخذت تتجول كي تألف ما يحيط بها، ووجدت بالطبع آثار لوجودٍ أنثوي، بما فيه زجاجة عطر كبيرة في الحمام، لا بد أنها من النوع الذي يناسب جمال كارين فوكسهول.

وتذكرت تعليق جولي أن جيرمان يلوم مارك على كل ما جرى له، كان عليها أن تقرب بينهما عندما كانا يحضران الجنازة، ليس من الضروري أن يصبحا أصدقاء جيدين، فهي تعلم أن هذا مستحيل، ولكنها شعرت أن عليهما أن يتعاملا مع بعضهما دون وجود مشاعر عدائية.

عندما عاد جيرمان عند المساء، كان يشتعل بالغضب، وكان واضحاً أن مارك هو السبب الرئيسي لهذا الانزعاج، وعلمت لوسي بعد عدة أسئلة أن جيرمان كان يختبر، وربما بشكل أحمق، وزن اسم بانهارد في الشركة، وأنه لم يرض أبداً بالأجوبة التي تلقاها، وتابع قوله:

- وغولمان سوف يستقيل لا شك في هذا، ولم يعد الأمر مجرد إشاعة. النظام القديم بدأ يتغير، ولا شك في هذا، وقالت متمتمة:

- أوه... أنا آسفة لهذا.

- وقد أنضم إليه، فلست أنوي أن أكون مجرد صبي عنده لمدة أطول.

وضحك قائلاً:

- ما كنت تظنين أبداً أنني وغولمان سنصبح في طرف واحد؟.

وقالت لوسي بهدوء:

- وهل يجب أن تنقسم الشركة إلى أطراف؟ ألا يمكن لكم جميعاً الاتحاد معاً لصالح الشركة... كما كان ماثيو يريد أن يحدث؟...

- يا إلهي... هذه فكرة جديرة بالثناء، ولكن تذكري يا حلوتي أن ليست كل رغبات ماثيو تلاقي دعمك؟ أم أنك لا تحسبين الصعوبات القانونية الحالية؟.

وحاولت أن تبتسم:

- أظن أن هذا أمر مختلف، ماذا ستفعل بشأن العشاء؟ لقد فتشت في البراد فلم أجد شيئاً يذكر...

- لا... ليس في البراد شيء، فكّرت بالعشاء في الخارج... طعام

إيطالي ربما...

- سيكون هذا رائعاً.

كانت تأمل في رسالة من مارك، لو عرف أنها في لندن. ولكن بما أن الأمور هي كما عليه، فإن جيرمان لن يقول له شيئاً، وعندما مر يومان دون أية رسالة منه تأكدت أن جيرمان لم يقل له شيئاً، ومع ذلك فماذا تتوقع منه؟ مغازلات وزهور وعشاء لهما معاً؟.

عند نهاية الأسبوع، قررت أن تبتلع قليلاً من كبريائها وتتصل به، فقد قال لها أن لا تتركه ينتظر كثيراً ردّها، مع أنها لا زالت غير متأكدة من طبيعة هذا الرد.

وهي تطلب رقم «ايفانز العالمية» وتنتظر أن تسمع الرنين، وجدت نفسها تعيد ما ستقوله له، وفكّرت لنفسها: يا إلهي إنني أبدو مثيرة للشفقة، لماذا لا أذهب إليه زاحفة على ركبتيّ وأتوسل إليه أن يقبل بي؟.

وعلى غير العادة قيل لها إن مارك ليس موجوداً، وأعادت السماعة وجلست جامدة تفكر، كانت تعلم من جيرمان إنهم لا يتوقعون وجوده في شركة «هارولد بانهارد» قبل بضعة أيام، ولكن ربما يكون جيرمان مخطئاً.

على الأقل «هارولد بانهارد» مكان مألوف لها، ولا شيء يمنعها من الذهاب إلى هناك ومواجهته، أو على الأقل تذهب بحجة مقابلة جيرمان، أو زيارة زملاءها السابقين في العلاقات العامة.

وارتدت ثيابها، ووضعت خاتم خطبتها في اصبعها، واستجمعت كل شجاعتها لتدخل مبنى الشركة، ورحّب بها موظف الاستقبال، ووعد أن يتصل بمكتب جيرمان ليبلّغه قدومها.

ولكن أول شخص شاهدته عندما خرجت من المصعد، كان ايربي غولمان.

وكان يبدو مشغولاً، ولكن عندما شاهد لوسي بدا مسروراً.

ـ ما هذه المفاجأة الرائعة؟ هل هذه زيارة اجتماعية... أم هناك شيء نستطيع خدمتك فيه!.

وردّت على ابتسامته بأفضل منها.

ـ لقد أتيت لأرى جيرمان... ولكنني لا أعرف أين مكتبه، فهو لم يعد في مكتبه القديم.

وتلاشت ابتسامة ايربي:

ـ من السهل فقدان آثار الناس هنا في هذه الأيام.

وتنفست لوسي عميقاً وهي تقول:

ـ هكذا سمعت، علمت أنك ستترك العمل يا ايربي... أنا حقاً آسفة.

ـ هذه الأمور تحدث عادة يا عزيزتي، لقد تمتعت بالسنوات التي قضيتها هنا ولكن الجو الذي كنت معتاداً عليه ذهب الآن، والعروض لعمل آخر كثيرة... والتغيير قد لا يكون سيئاً.

ـ أنت فيلسوف.

ـ لا فائدة من أن أكون غير هذا، فهذا خياري كل الأحوال، وفي الواقع أفضل عرض تلقيته كان من «ايڤانز العالمية» في أميركا، لقد قابلت أحد المسؤولين هناك، رجل يدعى براندز، عندما كان هنا مؤخراً، واتفقنا مع بعضنا جيداً.

ـ أتمنى هذا... حظاً سعيدا يا ايربي.

ـ هل لي أن أتمنى لك نفس الشيء يا عزيزتي؟.

ـ ربما يكون تمني السعادة ملائم أكثر... فأنا محظوظة.

مكتب جيرمان كان غرفة صغيرة في زاوية نائية من جناح الإدارة، طاولته كانت مليئة بالأوراق، وأحد أدراج خزانة الملفات مفتوح، ولكن لا أثر لجيرمان، وعادت إلى المكتب الرئيسي وقالت للسكرتيرة:

ـ شقيقي ليس في مكتبه، هل استطيع مقابلة السيد ايڤانز بينما أنتظر عودته.

ـ أخشى أنك لن تستطيعي هذا آنسة بانهارد، كان هنا منذ وقت قصير ولكنه ذهب ولن يعود اليوم، ولكنني متأكدة أن السيد جيرمان ليس بعيداً من هنا، هل تنتظرينه في غرفته؟.

ـ بالطبع سأنتظر.

وعادت إلى غرفة جيرمان... ونظرت إلى ساعتها... ستنتظر خمس دقائق فقط. ثم تختلق عذراً لتذهب، ووجدت صحيفة مرمية فوق الطاولة، فتناولتها لتجدها مفتوحة على صفحة سباق الخيل ولاحظت ما اختاره جيرمان متسائلة عما إذا كان قد كسب شيئاً منها.

وعادت تقلب الصفحات دون اكتراث، وهي تفكر كم من الغريب أن يستمر العالم في وجوده رغم كل شيء، وعلى الرغم من تعاستها.

وكادت تفوتها صورة منشورة في أسفل الصحيفة أمام مقال عن ساره تقول فيه «لن أمثل أي أفلام بعد اليوم» ولم يكن يبدو على ساره كليفتون التعاسة، فقد كانت ابتسامتها موجهة رأساً نحو الكاميرات التي استقبلتها في مطار هيثرو، بعد أن عادت من أميركا في اليوم السابق، وكانت قد قالت للمراسلين:

ـ لقد عدت كي ألتقط خيوط حياتي من حيث تركتها، ولتذهب هوليوود إلى الجحيم... فمن هو بحاجة لها؟.

وأخذت لوسي تفكر: لا بد أن القدر يشمر عن أكمامه استعداداً لها. أن تعود ساره في هذا الوقت بالذات، فهذه ستكون أقذر حيلة تلعبها معها الدنيا، وقد عادت «كي تلتقط خيوط حياتها» وما من شك أن أول هذه الخيوط ستكون مارك.

ونظرت إلى الخاتم في أصبعها، محاولة أن تجلب لنفسها بعض الراحة منه. ولكنه التمع بصمت في وجهها. إنه زائف... لأن الرباط الذي يجب أن يمثله غير موجود.

ولكن يجب أن يكون موجوداً... ونهضت واقفة، وأعادت الصحيفة إلى مكانها، وزمت شفتيها، ولمعت عيناها بالنار رداً على بريق الألماس في أصبعها، سأجده... وسأقول له إنني سأتزوجه، وبطريقة ما سأجبره على أن يحبني.. سأملأ حياته بالعاطفة والحنان والضحك حتى لا يعود لها مكان فيها.

وخرجت من المكتب الرئيسي بسرعة، حتى أن السكرتيرة لم تلاحظ خروجها وفي الشارع نادت تاكسياً كان ماراً وهي تشعر بالامتنان لوجوده، وأعطت السائق عنوان شقة مارك... وقالت لنفسها «من قال إنه لا يجد تاكسياً عندما يحتاج إليه؟».

إما أنه قد وصل لتوه، أو أنه كان على وشك أن يغادر لأن سيارته كانت متوقفة عند المدخل، وتوقف التاكسي عند الجانب الآخر من الشارع، وما إن التفتت لتعاود النظر حتى كان مارك يغادر المبنى، يحمل بيده حقيبة ويسير نحو السيارة. وكانت ساره كليفتون برفقته، تسير إلى جانبه، وذراعها متعلقة بذراعه بشغف، وبشعرها الأشقر يلمع تحت أشعة شمس الشتاء الخفيفة.

وبدت وكأنها تملك الدنيا كلها تحت قدميها... ولكن دنيا لوسي، وجلست كما هي في التاكسي... وراقبتهما يبتعدان... معاً.

●●●

١٠ ـ انت كل الدنيا

سألتها جولي للمرة العاشرة:

ـ هل أنت واثقة من أنك على ما يرام؟.

وابتسمت لها لوسي بثبات:

ـ أجل... بالطبع... أحتاج فقط للاختفاء بضعة أيام، هذا كل شيء، ولطف كبير من رب عملك أن يعيرني منزله الريفي.

ـ حسناً... انه لا يستخدمه هو وزوجته بعد شهر أيلول، وأصّر على أن تنهي كل ما تبقى في البراد، يعتقد أن هناك بعض السمك والدجاج، وتستطيعين شراء الخضار محلياً.

ـ لا أعتقد بأنني سأطبخ.

ـ ولكن يجب أن تأكلي! سوف تمرضين إذا لم تأكلي... والكوخ هناك معزول... وعندما أفكر به لا تعجبني الفكرة كثيراً، لماذا لا تذهبين برحلة شتوية لمكانٍ ما... قابلي الناس امرحي... ما فائدة الاختفاء في عمق الريف لتضجري؟.

ـ ربما لن أضجر... ولكن هذا ما أرغب به، ما أنا بحاجة إليه، أريد أن أكون في مكان لا يجدني أحد فيه.

ـ ومن تريدين أن لا يجدك؟.

ـ الجميع كما أعتقد، أرجوك لا تقولي لجيرمان.

ـ لا أنوي هذا، سوف يكون راضياً بهذا الوضع، سيبدو له أنك ذهبت لوحدك لتفكري... وإذا بدأ مارك ايفانز يبحث عنك، ماذا سأفعل؟.

ـ هذا أمر بعيد الاحتمال، إنه مشغول في ناحية أخرى، أتذكرين؟.

ـ وهل يمكن أن انسى، لن أنس منظرك عندما أتيت إلى مكتبي، للحظات لم أعرفك.

ـ لم أكن أعرف نفسي حتى، لقد كان لطفاً من رب عملك أن أعطاك فرصة لبعد الظهر.

ـ لقد قلق عليك كما قلقت أنا، إنه لا يعرف بأمر ساره بالطبع، قلت له إنك لا زلت تعانين آثار فقدانك لجدك، لوسي... لماذا لا تبقين في بريوري؟.

ـ لأنني لا أستطيع نسيان نفسي هناك. وعندما يقرأ جيرمان المذكرة التي تركتها سيتصل، وربما سيذهب إلى هناك، ولا أريد أحداً أن يجدني، خاصة الصحافيين، في حال وصلت إلى أسماعهم أخبار عودة ساره إلى مارك.

ـ لم أفكر في هذا، ولكنني لا زلت غير واثقة أن الهرب هو الأمر الصحيح، لماذا لا تبقين وتحاربي؟.

ـ لأنني لا أعتقد بأنني سأربح، يبدو أنني لم أكن أجيد شيئاً سوى توضيب ثيابي وإعادة ترتيبها في الأسابيع القليلة الماضية، وسأكون سعيدة بأن استقر لفترة ما.

ـ حسناً، ولكن ابقي مصغية إلى الراديو، وإذا بدأ سقوط الثلج، اهربي بسرعة من هناك.

وتعانقتا بحنان:

ـ جولي... أنت ملاك لي... لا أدري ماذا كنت سأفعل من دونك،

أنا أكره أن أحمّلك مشاكلي هكذا...

ـ سخافة...

ثم عادت لعناقها:

ـ يمكنك إعادة هذا الجميل لي يوماً.

ـ أرجو أن لا تحتاجي إليه.

ـ أتمنى ذلك أيضاً، ولكنني سأعتمد عليك، جيرمان لا يزال يستخدم كتفي للبكاء في الوقت الحاضر، وربما سيكتشف يوماً أن لي نفعاً آخر له، أو أن تدخل حياته كارين فوكسهول أخرى.

بعد ساعتين، وصلت لوسي إلى الكوخ الريفي، كان يبعد أكثر من ميل عن أقرب قرية، وصلت إليه عبر طريق ضيق، وقادت سيارتها الميني بحذر متمنية أن لا تلتقي بأية سيارة من الاتجاه الآخر.

وبينما كانت لوسي تسير نحو الباب الأمامي سمعت صوت مياه تجري ولكن لا صوتاً آخراً، ما دامت تقصد الهدوء والسلام، فستجدهما حتماً هنا.

المطبخ والحمام الصغير كانا يفيان بالغرض، وهناك ثلاث غرف في الطابق العلوي، واختارت لوسي الغرفة التي كانت تستخدمها عادة ابنة صاحب الكوخ، وكانت جدرانها مغطاة بصور الممثلين والمغنين، وبعض الكتب أكثر مما كانت تملكه لوسي عندما كانت في مراهقتها.

وكانت لوسي قد توقفت في القرية القريبة واشترت بعض الحليب والبيض والخبز، ووضعت ما اشترته في المطبخ، وأقفلت باب المطبخ الخلفي ثم أخذت تتعرف إلى سكنها الجديد.

كان هناك الكثير من الحطب مخبأ خلف المنزل، وملأت سلة من الحطب وحملتها إلى المنزل كي تشعل المدفأة وتدفىء غرفة الجلوس، وبعد قليل أخذت النار تشتعل... وحمصت بعض الخبز وسلقت بيضتين

وتناولت الوجبة البسيطة أمام الموقد، وأمامها كتاب مفضل من أيام طفولتها، قرأته عدة مرات ولكن كل ما استطاعت أن تراه أمام عينيها، رأس ساره كليفتون الأشقر ملتصق برأس مارك الأسود.

ولم يكن هناك تلفزيون في الكوخ، فأدارت الراديو واستمعت إلى تمثيلية ثم إلى بعض الموسيقى، وعندما صعدت السلم إلى غرفتها الصغيرة ذات السقف المنحني، سمعت صوت ساقية بعيدة تهدهدها، إذا لم تنم، فعلى الأقل ستسليها.

الطقس كان بارداً ورطباً، ولكنها خرجت لتعمل في الحديقة، وكان هذا جزء من اتفاقها مع صاحب البيت، فقد رفض رفضاً قاطعاً أن يقبل أجر منها.

ولم يمر بها أحد... ووقف مرة اثنان من طيور نقار الخشب على السياج يراقبانها، فقالت لهما:

ـ واحد منكما لا يجب أن يكون هنا.

ودخلت إلى المطبخ لتعدّ لنفسها بعض القهوة.

وجاء ساعي البريد، وجلب لصاحب المنزل المجلات المعتادة ورسالة من جولي للوسي، كانت رسالة مختصرة، مليئة بالمرح والحديث:

ـ الأسئلة بدأت عنك... ولكن شفتاي بقيتا مغلقتين.

وتنهدت لوسي... باركك الله يا جولي.

في اليوم الرابع تحول الطقس الغائم إلى سيل مستمر من المطر، ولم تظهر أي دلائل على الانفراج. وأشعلت لوسي الفرن، ثم ذهبت إلى القرية لتشتري بعض التموين وجلبت معها بعض البهارات كي تعطي للدجاجة التي ستطبخها النكهة المطلوبة، ثم اشترت بعض الشراب، وما إن بدأت طريق العودة حتى لاحظت أن سيارة تتبعها، أول ما ظنته أنها مخطئة، ولكن الطريق لا تقود إلا إلى الكوخ.

وملاحظتها الثانية المرعبة كانت أن السيارة سيارة مارك.

وابتلعت ريقها بصعوبة، وداست بكل قوتها على دواسة السرعة، فانطلقت بها السيارة بجنون... ماذا لو التقت بتراكتور مثلاً؟ حسناً سيكون هذا من حظها السيء.

ولكن الطريق كانت مهجورة كالعادة، وتوقفت بسرعة أمام باب الكوخ، ورمت نفسها تقريباً خارج السيارة، تاركة ما اشترته في مكانه، كل ما تنويه أن تصل إلى داخل المنزل وتقفل الباب عليها، ولكن الطريق كانت منزلقة من المطر، فوقعت على ركبتها، وخسرت كل ما تقدمته عليه.

وأمسكها مارك بكتفيها ورفعها لتقف، وقال بصوت ملي، بالغضب:

ـ أيتها الحمقاء الصغيرة! اعطيني هذا.

وبحركة سريعة استولى على المفتاح، وهو ممسك بها بقوة، وسار بها نحو الباب، وقاومته لوسي بعنف:

ـ اتركني!.

ـ اجبريني على تركك.

وفتح الباب ورماها بقسوة إلى الداخل.

ـ أم تفضلين أن يقوم عشيقك بهذا. أين هو؟ ألا يزال نائماً يحلم بليلة أمس.

ـ عن ماذا تتكلم بحق الجحيم؟.

واستدارت بغضب لتواجهه وصدرها يعلو ويهبط بقوة من التأثر.

ـ أنا أتكلم عن غولمان بالطبع... سوف أحطم رقبته اللعينة!.

وحدّقت به، ورأته على حقيقته... رأت الاصفرار الذي شاب لونه، والظلال العميقة حول عينيه، والتوتر والخطوط المتشددة حول فمه «إنه يبدو دون شك أسوأ بكثير مني».

وردت عليه ببطء:

ـ ايربي؟ هل كنت تتوقع أن ترى ايربي هنا؟ ولكن هذا أمر سخيف.

ـ هل هو سخيف؟.

وامتلأ وجهه بالمرارة والتحدي:

ـ ولماذا إذاً اشتركت بهذه المؤامرة الصامتة، ولماذا تسللت إلى عش الغرام الصغير هذا، إذا لم تكوني معه، أو مع أحد آخر؟ لا تلعبي دور البريئة يا لوسي. سأجده ولو حطمت المكان بحثاً عنه، وعندما أجده...

ـ ولكنك لن تجده... لأنه ليس هنا، أنا لوحدي تماماً، هكذا أردت، وهذه هي الحقيقة.

فضحك وقال:

ـ لقد قلت من قبل إنك ممثلة بارعة، يا جميلتي، ولكن بإمكانك التخلي عن الدور التمثيلي، لقد أدنت نفسك بنفسك... أتذكرين هذه؟ وأخرج ورقة مطوية من جيبه، فقطبت وقالت مفكرة:

ـ إنها تبدو كالمذكرة التي تركتها لجيرمان... ولكن كيف؟...

ـ كيف وصلت إليّ؟ لقد أعطاني إياها. أوه... لم يكن يريد ذلك، كان متردداً كثيراً، كان يميل إلى لوم نفسه لما حدث لك...

ـ لست أفهم كلمة مما تقول، ولست أدري لماذا اطلعك جيرمان على رسالتي، ولكن من ناحية أخرى ليس فيها ما يهمك.

وارتفع حاجباه:

ـ لا؟ ربما الأفضل أن تنعشي ذاكرتك.

وأعطاها الرسالة، ففتحتها ومررت نظرها فوق الأسطر التي تعرفها عن ظهر القلب:

«عزيزي جيرمان... أرجوك لا تقلق بشأني، أنا بحاجة للخروج من لندن لفترة وأنا مسافرة، لا تحاول البحث عني... لوسي».

ولكن عند قراءتها ثانية وجدت أن أحدهم قد أضاف كلمة «مع ايربي» إلى الرسالة، أحدهم...

وشحب لون وجهها وقالت:

ـ هذه ليست كتابتي، لقد جرى التلاعب بها.

ـ بالطبع... وماذا عن واقع خروج غولمان من شقتك ليلة حفلة والدتي وتوديعك له وأنت في ثياب النوم، هل هذا مجرد صدفة؟ وكذلك كما أعتقد، لقاءك معه في الشركة منذ أيام، والصدفة الغريبة بأنه لم يحضر إلى مكتبه منذ ذلك اليوم، واتصل ليدّعي المرض... ما نوع الأغبياء الذي تظنيني منهم؟.

ـ لم أفكر بهذا يا مارك... لقد كان ايربي في الشقة تلك الليلة، لأنه وجد جيرمان مضروباً وجاء به إلى هناك، ولا سبب آخر، وتحدثت معه ذلك اليوم في الشركة. ولكن لدقائق فقط. وليس لديّ فكرة عن مكان وجوده من يومها، أو ماذا يفعل، وعليك أن تصدقني.

ـ لقد حاولت تصديقك، مرات ومرات استمريت بالأمل، لقد أحسست أن الارتباك بين ذراعيّ كان عائداً لخجلك لبرائتك ولكنك سرعان ما جعلتيني أصرف النظر عن هذا يا جميلتي.

ونظرت إليه مندهشة وهي تتذكر، ولكن في نفس الوقت كانت تحس ببوادر الغضب في داخلها... فقالت:

ـ فتش المنزل إذا أردت، لن أوقفك، لن أستطيع على كل الأحوال، ولكن كيف تجرؤ على اتهامي؟ من أعطاك الحق بأن تلعب دورين مختلفين؟.

ـ وعن ماذا تتحدثين بحق الجحيم؟.

ـ عن صديقتك... الآنسة كليفتون، لم يمض وقت طويل عليكما

لتحتمعا ثانية، أعتقد أنك اجتمعت بها عندما كنت في أميركا.

ـ لا... لم أقابلها هناك... إذاً كنت أنت في التاكسي على الجانب الآخر من الشارع عندما خرجت من شقتي... هل قضاءك بضعة أيام مع غولمان فكرتك للانتقام؟.

ـ أنا لست بحاجة للانتقام... ولا يهمني ماذا تفعل، لقد أتيت إلى الشقة لأقول لك إنني قررت أن لا أتزوجك... وهكذا كلانا حر الآن... لأن يعيش بالطريقة التي يريدها، ونظراً لهذا... عليك أن تذهب من هنا.

ـ سأذهب عندما أكون مستعداً أنت مصممة على تدمير حياتك، أليس كذلك يا لوسي؟.

ـ أدمّرها لأنني لن أتزوجك؟.

وضحكت ضحكة مرتجفة:

ـ كم أنت مغرور بنفسك! لا بد أن غرامك بالآنسة كليفتون قد أثّر على عقلك.

ـ اخرجي ساره من هذا الموضوع لو سمحتي، نحن نناقش علاقتك بايربي غولمان.

ـ لست على علاقة معه! وهو ليس هنا، فتش من حولك إذا كنت لا تصدق.

وساد صمت ثقيل، ثم تجاوزها وصعد إلى الطابق الأعلى، وأخذت ساقا لوسي ترتجفان، فتراجعت إلى كرسي وجلست عليه، وسمعته يتحرك فوق، ثم سمعت وقع أقدامه على السلم، ولم تنظر إليه وقال بهدوء:

ـ لقد صدقت أنك لوحدك هنا يا لوسي... ولكن لماذا إذاً أخبرتي شقيقك أنك مع غولمان؟ لأجل الله... لماذا؟.

ـ لم أكتب هذا... لابد أن جيرمان أضاف الاسم بنفسه، من الواضح

أنه يلومك على خسارته كارين فوكسهول، وعرض الرسالة عليك متظاهراً بالتردد، هذه فكرته للانتقام منك، لقد ظن كما ترى أننا لا زلنا ستتزوج.

ـ وستتزوج... لن أقبل منك الرفض أبداً يا لوسي.

ـ أنت مضطر للقبول، لأنني كنت بلا كرامة عندما قبلت بهذه التمثيلية منذ البداية، ولكن هذا لا يعني أنني مستعدة لربط نفسي مع رجل مرتبط بامرأة أخرى... أنا لست بحاجة لإحسانك يا مارك. سأتدبر نفسي بطريقة ما، ولو تابعت ضغطك بخصوص علاقتي بايربي... فسأطلب منه أن يأخذني إلى أميركا معه كمساعدة له.

فقال بصوت خفيض:

ـ لن تقتربي منه... ولن يكون لك عمل في أميركا، وسأتأكد من هذا.

ـ يا إلهي! كم أنت نذل! والآن اذهب من هنا، واتركني بسلام.

ـ سلام! لم يكن لنا سلام منذ أن التقينا، لم أعد أفكر بشكل سليم، لا أستطيع أن أعمل. لا أستطيع النوم، وكل هذا بسببك يا جميلتي، حتى ولو لم تتزوجيني، أظن أنك مدينة لي ببعض التعويض، لما سببته لي من جحيم في الأسابيع الماضية.

وأمسك بها وجذبها لتقف، فصاحت وهي ترتجف:

ـ ارفع يديك عني.

ـ ملاحظة تقولينها بطريقة مأساوية، ولكنها لن تنجح هذه المرة، فأنا أريدك، وسأحصل عليك، لذا احتفظي بترددك العذري لمغفل آخر غيري، فكلانا يعرف أن هذا الادّعاء لا يعني شيئاً.

وشدّها إليه بقسوة... وللحظات قاومته، وأخذت يداها تضربان صدره وكتفيه بوحشية، ثم تأوهت وتلاشت بين ذراعيه، فأمسك بوجهها وهمس:

ـ لقد انتهت المعركة بيننا يا لوسي، نحن لبعضنا... ولن أتركك

تذهبين عني.

وكان يرتجف بدوره، ومع أن يداه كانتا لطيفتان، فقد بدت لمسته وكأنها تحرق جسدها حتى العظام، ووقفت لوسي جامدة، وبدا صوت الساقية القريبة كالرعد في صمت الغرفة أو ربما، هذا صوت دمها يغلي... وتعلقت به يائسة، محاولة تجاهل صوت من داخلها يذكّرها إلى أين سيقودها هذا.

وقال لها بلطف:

ـ استرخي يا حبيبتي... نحن نتغازل ولسنا نتحارب، تذكّري هذا؟.

ونظرت إليه محاولة الابتسام متسائلة ما إذا كان الرعب في داخلها ظاهر في عينيها وقالت:

ـ لا... لا نستطيع... إننا في وضح النهار!.

ـ وإن يكن... هل لهذا فرق؟ أم أنها مؤامرة أخرى لإبعادي عنك.

ـ لا... على الأقل لست أدري... أوه... إنك لم تفهم أبداً.

ـ جربيني...

وتحركت مبتعدة عنه، محافظة على مسافة بينهما، ولم تنظر إليه، ثم قالت:

ـ أنا أعرف تماماً ما تظنه بي يا مارك... وعن الطريقة التي عشت بها حياتي... ولكن هذه ليست الحقيقة... ولا جزء منها... كان يمكن أن أقبل معك ولكنني لا أريد، أو أنني بكل بساطة لا أستطيع... لقد كان جيرمان يخدعني دائماً...

كان يبدو عليها الألم... وسمعت مارك يقول شيئاً من بين أسنانه، فأدارت وجهها عنه وقالت:

ـ كنت أعلم أنك لن تصدقني.

وأمسك بذقنها بين أصابعه الطويلة، وأجبرها على مواجهته.

ـ لماذا تقولين هذا، في الواقع أصدقك. هذا يفسر لي فجأة التشويش الذي كان بيننا دائماً، ولكن لماذا لم تقولي لي هذا من قبل؟ ولماذا تقولينه الآن؟.

ـ وهل يهمك هذا؟.

ـ لو لم يكن يهمني لما سألتك!.

ـ لأنني في البداية لم أكن مهتمة... لذا لم أهتم بما تظنه بي...

ـ والآن؟ انظري إليّ يا حلوتي!.

وأطاعته متنهدة عندما شاهدت عينيه، فقال لها هامساً:

ـ أحبك يا لوسي... وبدأت آمل أن أصدق بأنك تحبيني، أيمكن أن يكون هذا هو سبب اهتمامنا ببعض؟.

فردّت عليه بيأس:

ـ أنت لا تحبني... لا يمكن... عندك ساره كليفتون. والأخريات...

ـ يا إلهي! تجعلين الأمر يبدو وكأن حياتي كانت لهواً لا ينتهي، ربما آن للصراحة أن تكون متبادلة... لقد كنت أنا وساره متحابان... ولكن لوقت قصير فقط. لقد انتهى ما بيننا قبل أن التقي بك، لقد افترقنا متفقين وبقينا اصدقاء.

ـ أصدقاء؟ كيف تقول هذا؟ لقد رأيتكما معاً، وكانت تعيش معك في شقتك قبل سفرها إلى أميركا.

ـ أجل... لقد كانت في الشقة، ولكن ليس معي... كان هناك فترة قصيرة ما بين إنهاء عقد شقتها وسفرها، وطلبت مني أن تعيش في شقتي، وربما كانت تخطط لوداع رومانسي، ولكنني لم اهتم، وانتقلت من الشقة، وأقمت في الفندق... إذا اردتي التحقق من كلامي يمكنك هذا.

ـ ولكنها عادت من أميركا وقالت للصحف إنها سوف «تلتقط خيوط

حياتها من جديد» واعتقدت . . .

ـ استطيع فهم ما اعتقدتيه ولكن اهتمام ساره الآن هو بمستقبلها المهني في الأفلام، واتصلت بي لأنها كانت بحاجة إلى كتف تبكي عليه، ولكنني قلت لها إن لديّ مشاكلي الخاصة، وأنا أعتقد بأنها ستنجح في السينما لو أُعطيت الفرصة المناسبة، ووعدتها أن أقدّمها لأصدقاء لي قد يساعدونها، وكنت آخذها إلى هناك عندما رأيتينا كي نحضر حفلة صديق، ونناقش إمكانية توقيع عقد لها، وحسب ما أعرف لا تزال هناك مع صديقي.

وابتسم لها متابعاً:

ـ والآن، هل تصدقيني؟ هل تصدقين أنني منذ أن رأيتك، لم أعد أرغب بسواك؟.

ـ ولكنك كنت تظن بي كل تلك الظنون، وكنت تحتقرني.

ـ عندما طرح عليّ ماثيو فكرة الزواج بيننا كنت على وشك الرفض، ولم أرد حتى أن أقابلك، ثم أجبرني مرضه، وضعت مع أنني حاولت جاهداً أن أقاوم، ولقد حاولت كثيراً.

ـ لقد كنت يومها تعيسة جداً . . .

وأرجعها مارك إلى ذراعيه.

ـ ربما لن يعزيك هذا ولكن، لقد كنت بائساً أيضاً، وخاصة عندما بقيت على اتصال بايربي غولمان . . . لقد كنت خائفاً من أن تهربي مع ذلك الشيطان التعيس، ظننت أن هذا ما حدث . . . الآن. وطريقي إلى هنا كانت أسوأ رحلة لي على الإطلاق.

ـ مسكين ايربي . . . لم يكن أي منا منصفاً معه.

ـ لم نكن منصفين مع أنفسنا.

ورفع يدها إلى شفتيه ليقبل كل أصبع على حدة.

ـ أنت لا تضعين الخاتم في أصبعك.

فقالت بخجل:

ـ إنه فوق في غرفتي، لقد شعرت بأنني لا يجب أن ألبسه، وانا غير متأكدة.

ـ ولكنك لم تعودي كذلك؟ وسوف تتزوجيني حال أن أحصل على الترخيص؟.

ـ آه . . . نعم! . . .

وابتسمت له وكل تحفظاتها زالت وأطلّ حبها له من عينيها الخضراوين.

ـ ألا تظن أن هذا مكان رائع لقضاء شهر العسل؟.

وصمت مارك قليلاً، ثم قال على مهل:

ـ قد ينفع . . . أتريدين أن أدبّر الأمر؟.

ـ ليس هناك شيء تدبّره، أنت هنا وكذلك أنا . . . وماذا نحتاج غير هذا لشهر العسل؟.

ـ لا شيء أبداً . . . ولكن هل أنت واثقة أنك لا تفضلين العودة إلى لندن وانتظار إجراءات الزواج، ونقل الخاتم، والاحتفال وكل شيء؟.

ـ أنا متأكدة.

ولفت ذراعيها حول عنقه وقالت:

ـ أحبك يا مارك . . . أليس هذا كل ما يهم؟.

ـ إن هذا هو الدنيا كلها . . . يا حبي العزيز.

●●●